كتاب

حقيقة البيان

في

وجود الخالق وكيان الإنسان

ديني . أخلاقي . علمي . أدبي

جمع وتأليف

فيلكس جبيلي

صاحبة المحل الملوكي شارع عباس نمرة ١٣ بمصر الجديدة

obeikandl.com

obeikandl.com

(ماسکہ حبیب)

obeikandl.com

اهداء الكتاب

الى السيد المحترم علي بك اسماعيل

مرالاى ياور جناب خديوي سابقاً

اني لما أعهده فيكم من الاخلاص والتفاني في حب الله وخدمة الوطن ولمَّا كنت أبحث عمن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه وجدت فيكم نعم الرجل الذي يستحق أن أهدى اليه باكورة ابحاثي. وما قيمتها الا في دلالتها على اجلالي لك واحترامي لمبادئك. فاقبلها. وابق نعم المثال لأبناء الوطن. أطال الله حياتك ؟

ملكم حبيب

يوم الاثنين ٢ يوليه سنة ١٩٢٨ !

بسم الله الفتاح العليم

لك الحمد والشكر يامن أوجدت الانسان من العدم الى الوجود ومیزته في عالمـه عن كل كائن وموجود وذلك بقوة النطق والعقل والادراك ليعترف بما لقدرتك من نظام العوالم والأفلاك . فسبحانك إله خبير منزّه عن العجز والتقصير — لا تدرك لك بداية ولا تعرف لك نهاية . بيدك الحركة والسكون و إذا أردت أمراً فانما تقول له كن فيكون

(أما بعد) فهذا كتاب سميته (حقيقة البيان في وجود الخالق وكيان الانسان) دعاني الى تأليفه وجمعـه وتصنيفه القيام بالحقوق الآلهيـة و واجبات المنفعة العمومية وما رأيته متفشيًا بين قومي من أفكار الكفر وتعاليم الضلال ودحض آراء الطبيعيين والمـاديين والهراطقة من النساء والرجال . بجملة أدلة وبراهين — أيدتها لنـا التجارب وأقوال كتب الله بالصدق واليقين فيكون هـذا الكتاب والحق يقال عزيز المثال لم ينسج مثله على منوال مؤمـلة أن يكون لابناء العصر خدمة مفيدة يتوصلون به لاستطلاع حقيقة البيان و يستنير بساطع بيناته آل الصدق والايمان وأني أرجو من المولى الكريم أن يكون مصباحًا نيراً — يهتدي به من ضل عن الطريق المستقيم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب . .

المؤلفة

ملكة حبيب

مقدمة

بينما كنت غارقة في بحار التصورات شاخصة فيما أراه من عجائب الطبيعة والمخلوقات مندهلة مما نظام هذا الكون المهيب مندهشة مما لتلك الكائنات من الوضع الغريب والترتيب العجيب من كواكب تدور في سماء البروج مشعشعة الانوار . ومن غيوم وبروق ورعود وأمطار . ومن جبال وأودية تسرح بها الظباء وكل وحش وأسد جبار ومن سهول وربوع وينابيع وأنهار ومن زحافات ودبابات وأسماك تدهش الابصار . ومن طيور منها جارحات ومنها ما يغرد بأطيب الالحان فوق غصون الاشجار . ومن أناس يسرحون على سطح البسيطة والكل يسعى على رزقه أناء الليل وأطراف النهار . ملكتني الدهشة واستولى عليّ الاعجاب كما تعجبت أيضاً من أولئك الذين لم يهتدوا الى معرفتها ولم يستدلوا على بيان حقيقتها حيث نرى كثيرين حتى الآن يتساءلون . هل هذه الكائنات وجدت من طبيعتها أو لابد من مبدع لوجودها وخلقتها ولكن مع الاسف عند ما نريد الاستدلال عن بيان الحقيقة مما يقال . نرى الذين تحزبوا من النساء والرجال الى المناقشة والجدال من أصاب كبد الحقيقة . ومنهم من ضاقت به المسالك ولم يهتد على طريقه

ومن أغرب حوادث هذا العصر وأعجب عجائب هذا الدهر أن

ترى الانسان حين نشأته لم يكن منه لوالديه الا القبول والطاعة. ليقوما بشئونه بقدر الاستطاعة . وبعد صيرورته قابلاً للتهذيب والتعليم ووصوله لدرجة تعود عليه بالخير العظيم والنفع العميم. تطمح به المطامع لنيل الرفعة والمجد الى أن يبلغ كمال العز والسعد — ولكن يا للأسف ويا حسرة لضياع الآمال ويا خيبة المسعى لقوم من أحط الرجال لا يفوا ما عليهم من حقوق التربية الوالدية بل ينبذون طاعتهما ظهريا وعند ضيقتهما يتركونهما نسياً منسياً — وليس هذا بأكثر غرابة ممن توغلوا في ميدان المعاصي والشرور وجعلوا لذكرهم نقطة سوداء في جبهة هذا الدهر لا تمحى على مر الايام والشهور . كيف لا وهم الذين انكروا الالوهية . والارواح الروحانية. وغدوا عديمي الرشد الى مراحلهم الجهنمية. وأخص بالذكر منهم علماء الطبيعة والماديين . ومن حذا حذوهم من القوم المضلين . الذين يستبيحون المنكرات ويحللون المحرمات ويبثون الشقاق بين ارباب الدين من يهود ونصارى ومسلمين غير مراعين للنواهي والاوامر الالهية ولا الى ما دونته الكتب المنزلة من الاحكام المرعية والسنن الشرعية . واذا وجد من يريد عملا صالحاً ينتفع به العباد يزدرون به ويسلقونه بألسنة حداد . ومن قام بفرائض الدين وواجب الانسانية . يستهزءون به ويعدونه من الطبقة البهيمية . أو من خطب خطاباً أو طبع كتاباً يهدي الى الرشد والعبادة يقابلونه بالسخرية ويعدونه ضعيف العقل والارادة . لا يستنكرون القبائح. ولا يخشون الفضائح. منكبين على الشهوات البهيمية. ومنهمكين

باللذات الدنيوية . سارحين في بحبوحة الانس والطرب . تائهين في صحاري الغفلة والعطب . تاركين فضائل الدين والعلم والادب . ومزدرين بالمسكين و باليتيم اذا طلب . لا يستحلون العطاء والبذل والكرم . الا لحاكم اذا ظلم أو معشوق اذا حكم . وهكذا تطوحت بهم الاهواء . الى مهاوي الذل والشقاء . وهذا ما قضى علينا نحن الشرقيين بانحطاط عزيمتنا وضعف همتنا وتقهقر حالتنا . حتى تغلب علينا الغربيون في ميدان الجد والنشاط والاجتهاد ونشروا بيارق العلوم والمعارف على رؤوس الاشهاد . فأصبحوا لجدهم تحنى الرؤوس . و باجتهادهم تبتهج النفوس . وعلى ذكرى نشاطهم تشرب الكؤوس .

نعم لا ننكر انهم حازوا قصب السبق في ميدان النجاح . ووصلوا لدرجة تعود على الانسان بالخير والفلاح ولكن وا أسفاه قد وجدنا الكثيرين من علمائهم خدعتهم الظواهر الطبيعية . ومالوا منحرفين عن الحقائق الالهية . حيث لا يعتقدون بصحة الاديان ولا بوجود اله أو ملاك أو شيطان حتى ضلوا وأضلوا مخلوقات رب العالمين بما علاوه عن الكائنات بالحزر والتخمين . كقولهم مثلاً كل محسوس موجود وغير المحسوس مفقود الى غير ذلك من الدلائل الوهمية والازعانات الفكرية التي سنبينها للعيان

وعجباً لمن غرهم الشيطان لتشتيت الديانات . أن يقولوا بتولد الانسان عن بعض الحيوانات . أي لا روح له ولا اله معبود بل هو مخلوق من طائفة القرود وهكذا عقائد فشت عدواها بين الامم

وأصاب جراثيمها من تجرد عن مواهب النعم . كمن أصيب بفكره .. وجمح بعقله . الى أن هوت به الاهواء النفسانية . وهبطت به المرامى الشيطانية . الى الانحياز لأقوال هؤلاء الملحدين ومن حذا حذوهم من القوم المفسدين . الذين يدّعون أن لا رب لهذا الوجود ولا معبود يخلق ما يشاء . بل هى موجودات طبيعية يسرح بها الانسان ويمرح كيف شاء فلنعجب لهؤلاء المضلين وعديمي الايمان غربيين كانوا أم شرقيين ممن يتلاعبون بالاديان . كيف يفترون الكذب على الله ويضلون الامم . قبل أن يدسوا بالحفر كما تدس القاذورات في بلاليع العدم

وبالنسبة لعدم الاتفاق . ما زال الحرب قائما على قدم وساق بين اللاهوتيين والماديين كما بين المؤمنين مع الملحدين والمعتزلين والطبيعيين والمغناطسيين والمتفرنجين والذين لا دين لهم الى هذا اليوم . .

ولما كان غرض الشيطان أن يضل بني الانسان كي لا يطّلعوا على مكائده ونواياه . كما ابعدهم عن عبادة الله والعمل بوصاياه وهكذا بث في صدورهم انواع النفاق . حتى تواجد الشقاق . وقامت الحرب على قدم وساق بين اصحاب المذهب الروحي واصحاب المذهب المادي .. لم أجد حداً لهذا النضال الا التطوع لمبارزة المفترين والقوم المضلين كما وقد دعتني الى ذلك الهمة الشرقية والنهضة العلمية والغيرة الدينية التى هدتنا الى اشرف المقاصد وأسمى الغايات لنتغلب على ابليس

وأنصاره في كل وقت من الاوقات . ولبيان ذلك الغرض المطلوب والقصد المرغوب ننظر لدلائل «حقيقة البيان فى وجود الخالق وكيان الانسان » كما دلت عليه كتب الله المنزله الشريفة بالمعاني الفصيحة والآيات الصريحة . والادلة الصحيحة . التي تصل بنا الى النتيجة

« أن من عرف نفسه آمن بربه المعبود قبل زوال رسمه من مرآة هذا الوجود »

فهذا كتاب حقيقة البيان في وجود الخالق وكيان الانسان جعلته أعظم مرشد وأصدق دلال . لمعرفة طريق الهدى من الضلال . أزفه الى لاحداث الذين يعرفون قيمة الكتب الدينية وفوائدها . والى الآباء والامهات الذين يهتمون بتربية أبنائهم على فضائل الدين منذ الصغر . والى رؤساء المدارس والاديان الذين يريدون نفع البلاد بترقية اخلاق الافراد حتى نبلغ الوطر والسلام

المؤلفة

تمهيد

أن أهم ما تصبو اليه النفس وتتلذذ به في معترك هذه الحياة هي المباحث الدينية التي ما زالت ولم تزل تشغل السواد الاعظم من العلماء والفلاسفة والحكماء وغيرهم خصوصًا فيما يختص بمعرفة الحقائق الربانية ووجود عالم الروحانية. وخلود النفس الانسانية . وغير ذلك مما المقدرة الالهية من الترتيب الغريب والنظام العجيب فى خلقه لمخلوقاته . . فلغرض الوصول الى معرفة ذلك نرى الانسان يقضي أيامه مترددًا تارة الى قبول هذه الحقائق متى أدرك الغرض منها . أو لا يقبلها متى كانت بعيدة عن تصوراته ومفهوميته بمعنى لو قلنا لاحد علماء العصر القديم سوف تريك الايام بدل المنارة ونور السراج ما يبهر الابصار من الانوار الكهربائية التي يترتب عليها أنارة الظلمات وعمل الزينات وتسيير المركبات وتسهيل المواصلات . أو سوف يأتي زمن فيه يطير الانسان في الهواء الى سائر الجهات . أو سوف تتواجد عدد التلغرافات التي تنقل لنا الاخبار من أبعد المسافات . أو من وجود التلغراف اللاسلكى الذي به نتخاطب ولو كنا في عرض البحار عرضة للخطرات . أو من وجود التليفونات التي بها نتوصل لمعرفة المقاصد والغايات أو من وجود الفونوغرافات التي نسمع بواسطتها أصوات الاحياء والاموات . أو من وجود أشعة (رنتجن) التي تخترق الجمادات وتنير باطن الانسان فيرى ما يصيب الاحشاء من الآفات والعاهات.

وهكذا لو قلنا عن السينماتوغراف أنه يرينا معظم الجهات وأنواع المواكب والاحتفالات والطف القصص وأجمل الروايات ونحن جلوس في القاعات ثم لو قلنا أن لقلب الانسان قوى روحية تعينه على دوام الحركات . الى حد المهات. وأن للانسان نفس ناطقة تعينه على نمو جسده بما تجلبه اليه من أنواع المآكل والمشروبات . أو قلنا لابد من وجود قوى أزلية تنسب لله تعالى الخالق لجميع الكائنات لقال عن هذه جميعها حديث خرافة يا أم عمرو . . .

ولا غرابة في ذلك ولا عجب اذ كثيراً ما نرى بعض اولئك المتشبثين بأفكارهم وتصوراتهم الوهمية . ما زالوا حتى الان يتصدون الى معرفة هذه الحقائق بل يمانعون من الوصول اليها لغلبة الوساوس الشيطانية التي يتجاهلونها أيضاً

فعلى ذلك يقضي الكمال الانساني لكل عالم أو فيلسوف أو حكيم اذا قدح زناد فكره فيما يراه مما للظواهر الجوية أو للنواميس الطبيعية أو للتأثيرات الفلكية أو ما لفعل العناصر الكونية أو لغير ذلك مما يراه سماوياً كان أم أرضياً . أن لا يأتي بأي تعليل كان أو دليل أو برهان . يؤيد به مقترحاته أو ما وصل الى معلوماته ما لم يكن على بينة أو ثقة مما يبثه في الاذهان حتى يخلد له الذكرى في كل مكان وزمان

أما اذا كانت نتائج مباحثة مبينة على ما يصوره له الوهم والحدث والتخمين فتكون جميع مقترحاته ومعلوماته لا يعتد بها ولا يعول عليها

اذ لا دليل يثبتها ولا برهان يؤيدها ولهذا ينبغي رفضها من دائرة العقول وندعو لاصحابها بالهداية والنجاة من الغواية

نعم هكذا ينبغي لكل عالم أراد المجاهدة في سبيل الانسانية ليقوم بخدمة ينتفع بها في ميدان هذه الحياة ان لا يعتد بفكره ولا يجمح بعقله ما لم يختبر بنفسه أولا مع مقارنة العلم بالعمل حتى متى ثبتت له الحقيقة يستطيع أن يقود من ضل عنها الى كرسي الاعتراف لينال توبة ومغفرة عما فرط منه من المعاني والاقوال المنافية للحقائق الربانية وخلود النفس الانسانية أو الى غير ذلك مما سنأتي على بيانه . اللهم الا الذين يستنكفون الرجوع الى الحقيقة خشية من ضياع شهرتهم بعد أن ملأوا بطون الاوراق من الهواجس الفكرية والوساوس الشيطانية التي اتخذوها ذريعة لهم تأييداً لقوله تعالى بأنجيله المقدس أنه في الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم الخ (١ تي ٤ : ١)

نعم هكذا نرى أن للشياطين أعواناً منتخبين . يبثون الشقاق . ويميلون الى الكذب والنفاق . كما يدّعون أن لا خالق لهذا الوجود ولا من الله معبود ولا من حساب أو عقاب ولا من دينونة أو عذاب الى أن أضلوا العباد ومالوا الى الكفر والفساد كما نرى ذلك من أولئك المنكبين على الشهوات البهيمية . المنهمكين باللذات الدنيوية . السارحين في روضة الانس والطرب . التائهين في صحاري الغفلة والعطب . وهكذا تطوحت بهم الآمال الى مجاري الفسق والضلال وهم في غفلة عما

يفعلون الى أن تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون . .

وحيث كادت الرذيله أن تسود على الفضيلة وعلماء الغربيين من ماديين وطبيعيين كادوا أن يزعزعوا أساس الدين من قلوب المؤمنين. لا بل يحرضونهم على أنكار وجود رب العالمين. ويكذبون ما جاء بكتب الدين من آيات الصدق واليقين . لذلك أرى نفسي مدفوعة لان أضارب معتقداتهم بسوط الحكمة السماويةوعصا الحقيقة العلمية . ليرتدوا ومن اتبعهم عن غيهم بأحسن طريقة كما سأبدد كلما شيدوه من الدسائس والمباني والأشى كما اختلقوه من الوساوس والمعاني والله عضدي ومعيني . . .

آراء المضلين والقوم المفسدين

أنه لمن الغريب حتى الآن متى استنبط أو اقترح أو اختلق أحد الغربيين أي ملحوظ كان طأطأت له الرؤوس وأدرجت معانيه الطروس وتهافتت نفوس الشرقيين خصوصاً الى نفحاته وما كأنه إلا رسول مرسل لنهضتهم من غفلتهم أو لترقية قوى مداركهم بمعلوماته ولنا شاهد على ذلك أقوال اللورد (كلفن) حيث يتبين من نتيجة أقواله عن المادة أنها مؤلفة من جواهر فردة تتحرك بخلاء مشغول بمادة لطيفة تسمى بالاثير . وتلك الجواهر الفردة تؤلف من جواهر صغيرة كهربائية ينشأ منها جوهر الفرد على شكل كرة مركزها أكثر كثافة من قشرتها — ثم يزعم أيضاً جماعة الماديين وغيرهم من الطبيعيين أن المادة هي علة العلل والسبب لوجود الكائنات كما يعللون عنها أيضاً بالتعريف الاتي وهو أن كلما أمكن ادراكه بأحدى الحواس الخمس أو بجملة منها فهو المادة . وما لا يدرك بالحواس لا يعتبر له أصل في الوجود. وعلى هذا القياس ينكرون وجود الله تعالى والروح والنفس الانسانية وغير ذلك حيث يقولون بل يعتقدون كما ذكرنا أن كل ما هو محسوس موجود وغير المحسوس مفقود وأن الجزء الذي لا يقبل التجزئة (هو المادة)

وفوق هذا كله يقولون أن لا روح للانسان بل هو من طائفة القرود وأن لا موجود سوى المادة الى ان قالوا وما القوة التي تشاهد

فيها الا صفة من صفاتها لا شيئاً قائماً بذاته (اي أن كل كائن قائم يقوى مادته) كما لا ينبغي نسبة وجود الشيء لغير تلك القوى الماديه . أي لا الى وجود قوى الاهية أو وجود روح أو نفس في الانسان . وأما ادراكه وتصوراته وارادته ومحاولاته فهي تطورات مختلفة لتلك القوى الملازمة لجسمانه وأنه بمجرد انحلال الجسم تذهب كل ذرة فيه الى امثالها من اشياء الطبيعة وتندمج في ما يناسبها من اجزاء الكون المادى ويذهب الانسان بعد ذلك الى هوة العدم المحض والفناء الذي لا نشور بعده (أي كن ما شئت وافعل ما شئت اذ لا عقاب ولا حساب) . .

ومن ذلك أيضاً ما دون بكتاب دوران الحياة (لمولشت) أن الانسان ما هو الا مادة مجردة وخلايا عضوية وأنه يتكون من جديد كل ثلاثين يوماً وأما الروح فانها ليست شيئاً سوى التوازن الحاصل بين وظائف الاعضاء كما قال عن الحياة انها نتيجة المجتمع للخصائص الكيماوية الطبيعية لخلاياه الجسمية .

وقد توارث خطة الكفر هذه كثيرون من الامم سيما عن (ابيقور) الدهري ومنه الى البعض من الشعب الفرنسي وأخصهم بالذكر الشهير (وولتير) (وروسو) و (ارنست رينان) والالماني (نتشيه) وغيرهم من الذين كتبوا الكتب الكثيرة بانكار الألوهية وزعموا أن الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعموا ان الاديان مخترعات

أحدثها نقص العقل البشري وكثيرا ما بالغوا في تخطئة الانبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيبوا ما جاءوا به ثم أخذت هذه الاباطيل تسري من نفوس هؤلاء المضلين الى ان عمت معظم الجهات ـ

ومن مدّعيات (ابيفور) المذكور أن الانسان في بعض اطوار حياته كان كالخنزير مستور البشرة بشعر كثيف ولم يزل يتنقل بأطواره الى أن وصل الى هيئته الحاضرة

ويقول بعضهم أن الانسان كسائر الحيوان ليس له من المزايا ما يرفعه عن البهائم لا بل أنه أخس منها خاتمة ولا يختلف عن النباتات الارضية التي تورق في الربيع وتيبس في الصيف ثم تعود ترابًا .

ومن دقائق الحمائق ما قيل عن عميد الكفر المسيو (بريان) في جمعية التعليم بفرنسا . . « أيها الانسان انك اله كبّلوك وقيدوك بالاكاذيب والخرافات حتى ظهرت عاجزاً ضعيفًا والآن أنا (بريان) أحل قيودك فعد الهًا قويًا (أي كن كافراً)

ومما قاله (بارس) — حياة الانسان بلا غاية فهي تنتهي بموته (أي افعل ما يستطاب لا من حساب ولا عقاب)

ويقول البعض أيضًا يجب على الانسان أن يسأل أولا عن واجباته الدنيوية المتعلقة بحياته الحاضرة . وقالوا ان مرشده الوحيد في هذا السبيل هو نواميس الطبيعة فلا لزوم للاتكال على الله ولا فائدة من الصلاة وعندهم أن ما يعتقده البعض من عناية الله انما هو خرافة

وهم وكذلك اعتقاد الوحي وان الانسان يقدر من نفسه أن يرى ما يوافقه من المبادىء الأدبية بواسطة العقل والاختبار وان الادبي انما هو المفيد في هذه الحياة . وعلى هذا المعتقد. الانسان مسئول فقط لنفسه وله أن يتصرف بحسب أهواء قلبه الشريرة بدون أدنى مانع .. ومنهم من قال ان الانسان حيوان سليل حيوان فكما ان الحيوانات بحكم الطبيعة لها حق التمتع بالمراعي في السهول والوديان سوية على هوى نفسها وان كافة نباتات الارض مبسوطة لها على الشيوع تتناول منها ما تشاء بلا فرق ولا تمييز لحيوان دون حيوان آخر . كذلك الانسان أيضاً له حق التمتع بالملاذ الدنيوية كيف شاء وان جميع أنواع هذا الكون حق شائع بين الجميع واختصاص الفرد بها أو بجزء منها يعد اغتصاباً (أي اغتنم ما شئت واغتصب من شئت) وان وجود قيود ووعيد وتهديد وغير ذلك من النظامات الخاصة بالاديان تجعل الانسان غير حر التصرف في الطبيعة لئلا يناله من أقل حادث عقاب يوم الحساب وهذا مخالف لسنن وقوانين الحرية (أي كن حراً ولا تستقبح أمراً)

ومن أغرب من مدعياتهم أيضاً بأن الحياة هي فلتة استثنائية ضد نواميس الكون وتعطل وقتي لقوانين الطبيعة . .

فان كان ذلك كذلك وجب أن نقول أيضاً بأن تصوراتهم هذه فلتة ضد نواميس العقل وتعطل مستديم يخشى منه ازدياد الكفر والضلال وعدم رقى النوع البشرى الى سلم الحقيقة . . .

الى هنا نكتفي بما اكتشفناه من وساوس ودسائس الشياطين بأفكار هؤلاء المنخدعين . واني أستعين بالله تعالى على كشف القناع عن بيان النظامات الربانية واقامة الدليل على ما لقدرته تعالى في خلقه لجميع مخلوقاته التي تأتمر بأمره . اذ له عز وتبارك دون سواه السلطة والسلطان على جميع ما خلق سماوياً كان أم أرضياً. واني أسأله تعالى الحفظ والهداية والأمن من الغواية انه على ما يشاء قدير .

ولكي أصل الى محجة الصواب سأقسم بحثي الى خمسة أبواب

أولا — ان الله موجود ولا شريك له في الملك وهو رب العرش العظيم

ثانياً — ان تنزيل الكتب المقدسة وما جاء عن أنبيائه العظام ورسله الكرام من الآيات البينات كان بأمره

ثالثاً — انه خلق الانسان وأعد له جميع موجودات هذا الوجود وأخضع كل شيء لارادته

رابعاً — انه خلق الملائكة السماوية كما خلق الارواح الشيطانية

خامساً — ان لنا حياة ثانية بعد الموت وسنعطي حساباً عما عملنا بدنيانا خيراً كان أم شراً ..

الباب الاول

فى وجود الله

أصحوا وأسهروا لأن أبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه فقاوموه راسخين في الايمان (١ بط ٥ : ٨)

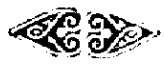

إذا نظرنا بعين بصيرة الى ما حوى هذا الكون العجيب من النظامات الارضية لكل من المملكة الحيوانيـة وما يدخل تحتها من الحيوانات بأنواعها والطيور بألوانها والاسماك بأشكالها . والى المملكة النباتية وما يدخل تحتها من المزروعات والخضراوات والاثمار والازهار . والى المملكة المعدنية وما يدخل تحتها من أنواع المعادن وأصناف الجواهر وغير ذلك مما حوته الطبيعة

ثم اذا وجهنا النظر أيضًا الى بديع وضع القبـة الزرقاء المرصعة بدرر زواهر النجوم وبهجة ضياء النيرين وتلألؤ زهي السيارات التي نهتدى بها في الظلمات فضلاعن معرفتنا بها ترتيب الفصول وضبط الاوقات وما نراه من المنظر البهج لقوس القزح وألوان طيف الشمس المفرحة الى غير ذلك ممـا لفعل العناصر الكونية . والتغييرات المادية وأحوال تشكيلاتها وأنواع تبديلاتها من صورة الى صورة ومن هيئة الى أخرى كاستحالة النطفة مثلا الى جنين . والبذرة الى شجرة . والبيضة الى طائر . وغير ذلك من بديع النظامات وعجائب المخلوقات التي

لا تحصى . لا يسعنا الا الاعتراف بوجود الله الخالق لكل ما يرى وما لا يرى وأن نقول مع النبي داود (عليه السلام)

السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه . . .

ربما تقف في طريقي قائلا أن هذه الظواهر والمشاهدات من سماوية وأرضية. موجودات طبيعية وجدت بغير موجد وعليها يتوقف مدار العمران وحياة الانسان

فعلى هذا الاعتراض نجد اصدق دليل على وجوده تعالى وهو أن المنتظم يستلزم من نظمه والكون منتظم لانه يظهر فيه حسن النظام والتركيب والقصد في كل شيء فيستلزم وجود كائن عاقل قد نظمه ويلزم عن ذلك أن يكون ذو عقل وارادة وقدرة . ولا يخفى ان حسن النظام لا ينشأ عن المنتظم ولا عن الصدفة بل عمن نظمه كما ان البلاغة في الكتاب لا تنسب الى الكتاب نفسه ولا الى الصدفة بل الى مؤلفه الذي قصدها باستعمال عقله وارادته وقدرته . كذلك الحكمة في تركيب الحيوان والنبات والقصد في وجودها لا تنسب اليهما ولا الى الصدفة بل الى خالقهما فيلزم نسبة الحكمة الظاهرة في الكون كله الى كائن خارج عنه ذو عقل وارادة وقدرة

واذا كان لا بد لكل حركة من محرك. ولكل فعل من فاعل. ولكل سبب من مسبب. صار من المحتم أن يكون لكل موجود من واجد . ولكل مخلوق من خالق . ولكل ضال من مرشد . يقودك معترفاً بوجود الله سبحانه وتعالى المكوّن لجميع الكائنات . .

توراة — أنت هو الرب وحدك . أنت صنعت السموات والارض وسماء السموات وكل جندها والأرض وكل ماعليها والبحار وكل مافيها وأنت تحييها كلهاو جندالسماءلك يسجد(نح ٩:٦)

انجيل — نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل الى الاله الحي الذي خلق السماء والأرض وكل ما فيها (اع ١٤ : ١٥)

قرآن — ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون

وقياساً على ما تقدم أراك بهذا الوجود كمن دخل بيتاً يسكنه فوجده عالي البنيان مشيد الاركان شمسه بالضياء ساطعة وسماؤه بأنوار الكواكب والنجوم لامعة . أرضه تزدهي بزواهر الازهار وأطياره تناغي طرباً على غصون الاشجار . حوى من النبات والحيوان والمعدن ما يذهل العقول وكلما تشتهي الأنفس من مشروب ومأكول كل هذا تراه وأنت معجب من جودة مناخه وعذب مياهه وطيب هوائه ولكنك لم تسأل عمن بناه ورتبه وأنشاه

واثباتاً لما نحن بصدده نتلو على مسامع القراء حكايةوقعية تثبت حقيقة وجود الله : —

تفكهة

حكى ان أحد الملوك السالفين من الوثنيين التف حوله جماعة من أهل الكفر والضلال وحسّنوا اليه هدم المعابد والمساجد ومحو آثار العبادة الدينية لأن هذا في اعتقادهم من أنواع الخرافات . . فتقدم اليه أحد رجال الدين الاتقياء وطلب الى جلالته أن يتمهل فى تنفيذ رغبته ويعقد جمعية للنظر في هذه المسألة والمباحثة في اثبات وجود الله من عدمه . فرضى الملك بذلك وحدد يوماً للاجتماع

ولما كانت الساعة المعينة حضر حزب الكفر وأعوان الشر جميعاً وأما رجل الله فتأخر فقالوا أنظر يامولانا كيف أن صاحبنا قد هرب من وجه المناظرة وخجل من الحضور أمام جلالتكم . فكاد الملك أن ينحاز الى رأيهم ويعمل بمشورتهم ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا الرجل قد اقبل يجر ذيول التواضع الممزوج بالشمم وصدق العزيمة فبادره الملك بالكلام قائلا كيف تأخرت يا هذا عن الحضور في الموعد المحدد الى الآن ؟

قال فليسمح لي مولاى أن انبئه بالسبب ليلتمس لي عذراً على هذا التأخير . قال قل ما بدا لك . أجاب

بينما كنت أنتظر مركباً تقلني من ضفة النهر اليكم ما أشعر الا وقد ظهرت أمام عيني قطع من الخشب على وجه الماء أخذت تقترب بعضها من بعض وتتماسك حتى تكونت منها مركب اخذت

تتجه الى النقطة التي أنا واقف فيها فنزلت اليها وحضرت للمثول بين ايديكم

فضحك الملك ومن حوله من هذا الحديث وظنوا ان الرجل أصيب بالجنون وانه أخذ يهذي ولا يفقه معنى ما يقول .

فالتفت اليهم بدهشة وقال على ما تضحكون وهل فيما أقوله ما يوجب الغرابة ؟ قالوا كيف يمكن أن هذه الاخشاب المتفرقة تلتصق بعضها وتتكون منها سفينة من تلقاء نفسها. قال اذا كان هذا معتقدكم فما بالكم تنكرون وجود واجب الوجود ومبدع العوالم وتظنون أن هذه الاكوان العظيمة وجدت من لا شيء ولم تخلقها يد علوية . أو ليس اعتقادكم هذا هو الاولى بالهزء والازدراء . فخجل الجميع من هذا الكلام وعدل الملك عن تنفيذ عمله

فعساك أيها القاريء أن تخجل أيضاً وتعدل عن رأيك من أن البدع الآلهية والنظامات الكونية وجدت بغير موجد بعد أن بيّنت لك أنه لا بد لكل معلول من علة سابقة له وكافية لاحداثه . والكون معلول فلا بد له من علة سابقة له وكافية لاحداثه وهي « الله »

وأن كنت بعد هذا لا تخش سطوة المتعال ولا تذعن لحقيقة وجود الله ثم لا تعترف بايجاد أو وجود أي شيء ما الا اذا حكم به عقلك أو شعرت به حواسك فهل تستطيع أن ترشدنا ما هو العقل الذي به تحكم على تمييز الكائنات ومعرفة تلك الموجودات التي وجدت بغير موجد

نعم لا أندهش من توقفك عن رد الجواب أكثر مما يأخذني منك العجب وهو كيف أنك تتخذ ما يسمى بالعقل سلاحاً تدافع به وهو ليس بمادة تقع تحت سلطة الحواس مع أن الشيء الغير واقع تحت حكم احدى الحواس أو جملة منها لا يعتبر له وجود فكيف اذاً تحكم على الشيء الموجود بما ليس موجود . ؟

يزعم جماعة الماديين وغيرهم من الطبيعيين أن المادة هي علة العلل والسبب لوجود الكائنات كما سبق في ذكر آراءهم ورداً على ذلك نقول : —

أن كل من يتأمل الى تلك الوساوس والتعليلات الشيطانية يجد أنها من الينبوع الوهمي العاري عن الحقيقة لانه من المعلوم أن كلا من الكهربائية والمغناطيسية والحرارة والضوء ليست مادية فكيف اذاً نعتبر وجودها في الوجود حالة أنها لا تدرك بالحواس اذ لا لون ولا طعم ولا رائحة ولا وزن ولا كثافة تعرف بها. فعلى هذا البيان قد اختلفت قاعدتهم حيث الغير محسوس بالحواس صار موجوداً وعند ما تبين لهم خطأ هذا الفكر عادوا يقولون أن كلا من الحرارة والضوء والكهربائية والمغناطيسية وأن يكن لم تدرك بالحواس ولكنها تعرف بما لها من الخاصية أي أن من خاصية الحرارة الحرق والاحتراق ومن خاصية الضوء النور والاستنارة ومن خاصية الكهرباء سرعة التمدد في الاسلاك المعدنية وغيرها كما من خاصية المغناطيسية الجذب . .

واذا كان الشيء الغير محسوس بالحواس يعرف بما له من الخاصية

فلماذا هؤلاء المضلين لا يعترفون من أنه سبحانه وتعالى الغير محسوس بالحواس يعرف أيضاً بما له من الخاصية التي هي ايجاده للوجود المطلق . أو لما لا نقول عما هو أقرب الى الحقيقة من أن الشيطان الغير محسوس بالحواس من خاصيته أيضاً أنه يوسوس لمن يستميلون الى ارشاداته وتعاليمه ليتخذهم من حزبه وأنصاره

قرآن — استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون

وقد استحوذ على اولئك القوم فاضلهم حتى قالوا أيضا وما القوة التي تشاهد في المادة الاّ صفة من صفاتها لا شيئاً قائما بذاته (أي أن كل كائن قائم بقوى مادته) كما لا ينبغي نسبة وجود الشيء لغير تلك القوى وأن العناصر ازليه . .

وعلى فرض صحة القول بازلية العناصر لا ينتج من ذلك أن الكون نشأ على حالته الحاضرة من نفسه لان العناصر الاصلية عديمة الحياة وليس لها عقل ولا ارادة ولا قدرة على ايجاد أمر ما ولذلك وأن سلمنا بأزليتها فيبقى لزوم بيان علة كافية لحياة الكون وتركيبه ولعقل البشر وقواه

واذا كانت القوى المادية علة العالل والسبب لوجود الكائنات فمن أي وجهة نسبت لها تلك القوى يا ترى ؟ . . أعن قوى حيويتها حاشا اذ هي صامتة بل تحت حكم التلاشي والعدم . أو أن التصور العقلي أجاز وجود تلك القوى . وهذا أيضاً لا يمكن بما أن العقل جوهر

غير محسوس ولا يعتد بحكمه اذ ما ليس ماديًا لا يعتبر وجوديًا . أو من الارادة والاختبار أو التصور أو التميز أو الادراك فكل هذه صفات ليست من طبيعة الماديات

واذا سلمنا بأن العقل أجاز وجود هذه القوى الماديّة أليس من خصائصها أن تقبل الوزن متى شغلت حيزاً في الوجود ؟ فمن يقول بوزن سنتي أو أقل أو أكثر من قوى تلك المادة محصوراً في حيز محدود

واذا قلنا بأن الرّجل تنتقل وكذا اليد تتحرك فلا بد لكل منهما من دافع يدفعهما على الحركة ومن يقول بطبيعة ذلك الدافع أنها مادية أو اذا قلنا أن العلم مكتسب للعالم بالارادة أفهل العلم والارادة من طبيعة مادية ؟ وما أدراك عن الغايات والافكار والتصورات أهل يقال عنها أيضًا أنها مادية ؟

واذا نظرنا لأي شخص كان بعيداً . أمن الجائز أن يقال عن قوى المادة انها سرت من نظر الرائي الى المرئي أو هل المعرفة به من طبيعة مادية ؟

فبناء على ما تقدم يعلم انهم لم يتوصلوا حتى الآن الى بيان حقيقة قوى تلك المادة ولا الى تسميتها أو نسبتها لأي نوع من العوالم الخمس أو هل هي تتحول بقواها الى تلك الانواع المذكورة أم لا

ومهما تكررت المعلومات لا يمكن أن يكون أحدها العلة الاصلية للباقي فاذا لم نجد في أنفسنا سبباً أصليًا لوجودنا ولا في آبائنا وأجدادنا فمهما تقهقرنا في ذلك لا نصل الى العلة الاصلية فنلتزم حسب مقتضى

العقل أن نسلم بوجود علة خارجية واجبة الوجود لها قوة كافية لاحداث العالم وكل ما فيه

وقد شهد التاريخ ان نسل آدم لم يوجد الا منذ بضعة آلوف من السنين فهو غير أزلي ويلزم عن ذلك اما انه قد خرج من نفسه هو والكون أيضًا من العدم أو انه قد أحدثه كائن أزلي واجب الوجود

وقد أجمع أيضًا الجيولوجيون بالاجمال على ما يأتي :—

(١) أن كل انواع الحيوان والنبات المعروفة الآن حديثة العهد بالنسبة الى مدة وجود العالم

(٢) أن المواد الخالية من الحياة لا يمكن أن تولد حياة في نفسها ولا في غيرها بل الحياة وحدها تحدث الحياة

(٣) أنه بعد الفحص الكافي لم يتبرهن أن نوعا من المخلوقات الحيه استحال الى نوع آخر أي لم يصر السمك طائرا ولا الطائر حمارا مثلا ونحو ذلك

فيلزم عن تلك المبادىء أنه لا بد لكل نبات وحيوان من بداية وما له بداية هو مخلوق والمخلوق لا بد له من خالق

وشهادة الاكتشافات الطبيعية للوحدة التامة العامة تبين أن الكون صنعة يد واحدة لا أيادي كثيرة وأن ما فيه من المخلوقات مركب ومنظم بحذاقة عقل واحد لا عقول كثيرين وذلك مما يرجح كل الترجيح وجود خالق واحد للكون هو علة العلل . .

ثم ان الحياة لا بد لها ايضًا من مبدىء لان المواد الخالية من الحياة

لا تولد حياة وكذلك العقل بجميع قواه السامية لا بد له من مبدىء لان المواد لا تولد عقول ولا الحياة الحيوانية

فيلزم عن كل ما تقدم وجود خالق هو علة العلل مبدىء المادة والحياة والعقل

وحيث أن اصحاب المادة لم يهتدوا حتى الان الى التعريف الاصلى لتلك المادة لذلك اعرفها لهم ابتغاء مرضاة الله . فالمادة هي مكروب الضلال المنتقل بالعدوى من ابليس الى من يتخذهم من حزبه وأنصاره كي ينقادوا الى طاعته و يبتعدوا عن معرفة الخالق وعبادته . . .

واننا لا نستطيع أن نأتي ببرهان يثبت حقيقة وجود الله أصدق من الدليل المبني على طبيعة الانسان الروحية الادبية وذلك ان نفس الانسان تدل على وجود الله و بعض صفاته كما تدل صورة الشمس في المرآة على وجودها و بعض صفاتها غير انه كما لا نحصل على معرفة كاملة بالشمس من صورتها في المرآة كذلك لا نحصل على معرفة كاملة بالله من صورته التي فينا على ان ما نتعلمه من ذلك لا ريب فيه ونثبت ذلك بالأدلة الآتية : —

أولا — وجود العقل في الانسان . فان كل انسان يعلم بالوجدان انه عاقل وان عقله يختص بنفسه لا بجسده ولا يمكن أن يكون الجسد أو قوات أخرى طبيعية غير عقلية علة النفس لانه من أوليات العقل ان العلة لا تكون أدنى من المعلول فلا يمكن أن يكون ما ليس له عقل علة للعاقل . ولذلك يلزم أن نسلم بأن وجود أرواحنا دليل على

من هو أبو الارواح وأن عقولنا تشهد لوجود ذلك العقل السامي الذي خلقها

ثانيًا — ما يظهر من طبيعة النفس واحتياجاتها. فكما ان الموجودات الحية تحتاج الى جملة أمور وان الله سبحانه وتعالى قد دبر لها كل ما تحتاج اليه وان هذه الموجودات الحية تصل الى درجة البلوغ وتتم المقصود من وجودها مبينة كل ما لها من الخواص الطبيعية. فكذلك أيضًا الانسان. غير انه لا يبلغ كماله في هذه الحياة وليس في العالم ما يكفي احتياجاته الروحية لان نفسه ذات حاجات وأشواق روحية تطلب السماويات بل مشاركة الله ذاته. وكما ان الجوع دليل على وجود ما يكفي لاحتياج الجسد كذلك جوع النفس يدل على وجود من يكفيه أي « الله »

ثالثًا — ما يظهر من طبيعة الانسان الادبية. فان الوجدان يعلمنا ان نفوسنا تميز طبعًا بين الحلال والحرام وانه توجد في داخلنا قوة غير خاضعة للعقل والارادة تسمى بالضمير الذي له السلطان علينا حتى مهما حاولنا لا نقدر أن نتحرر منه وانه يلزم عن حكم الضمير وجود شريعة أدبية سلطانها من فوق. واننا نشعر من وجود الضمير والشريعة الادبية بأننا مسئولون عن حالنا وأعمالنا لا لأنفسنا ولا للبشر فقط بل لكائن عظيم هو مصدر الشريعة وواضع ضميرنا وعارف بكل أحوالنا. فيلزم عما تقدم وجود من نحن مفتقرون اليه ومسئولون له وهو « الله »

والكتب المقدسة تؤيد ما تقدم من الادلة المبنيَّة على علامات القصد وسنورد بعضها اثباتاً لحقيقة البيان

توراة — في البدء خلق الله السموات والارض (تك ١ : ١)

ومنه — لك السموات لك أيضاً الارض المسكونة وملؤها أنت أسستها . الشمال والجنوب أنت خلقتهما (مز ٨٩ : ١١)

ومنه — من قدم أسست الارض والسموات هي عمل يديك (مز ١٠٢ : ٢٥)

ومنه — كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الارض في البحر وفي كل اللجج (مز ١٣٥ : ٦)

انجيل — ان الله الذي خلق السموات والارض لم يترك نفسه بلا شاهد بل يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً (اع ١٤ : ١٧)

ومنه — ان أموره غير المنظورة وقدرته السرمدية ولاهوته مدركة بالمصنوعات (رو ١ : ٢٠)

ومنه — نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل الى الاله الحي الذي خلق السماء والارض والبحر وكل مافيها (اع ١٤ : ١٥)

قرآن — الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم له ما في السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا

يؤده حفظهما وهو العلي العظيم (آية الكرسي)

ومنه — الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (سورة الأنعام)

ومنه — قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون

وهكذا لو شئنا أن نأتي بجميع آيات الكتب الدينية الدالة على حقيقة وجوده تعالى لبلغ هذا المؤلف حجماً عظيماً ولكنا نكتفي بما قدمناه من الحقائق راجين من رب الوجود أن يترأف على من ضل عن معرفة المحبة الأزلية التي نادت وما زالت تنادي أن اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب . ليترك الشرير طريقه ورجل الأثم أفكاره وليتب الى الرب فيرحمه والى الهنا لأنه يكثر الغفران لان أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب لانه كما علت السموات عن الارض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم (أشعياء ٥٥ : ٦ — ٧)

الباب الثاني

فى صحة الكتب المقدسة

حيث قد أثبتنا أن الله موجود وأنه خالق البشر فيتحتم اذن أن يعلن لخليقته أفكاره من جهتهم ومحبته لهم وأن يجعل لهم قانوناً يسيرون بموجبه ليعيشوا سعداء في هذه الحياة الدنيا ومتمتعين في العالم الآتي ولا سيما وهم يعلمون أن الموت باب وراءه دار مجهولة وظلام مدلهم

واذا كان الله سبحانه قد وهب للانسان النطق حتى يقدر كل واحد أن يعبر عن أفكاره لغيره ويسطرها حتى تصل الى جميع الناس على ممر القرون والاجيال فكيف يمتنع أن واهب النطق يخاطب خلائقه ويعلن أفكاره للبشر؟ بل كيف يترك خليقته مهملة في الوقت الذي يشعر فيه كل واحد منهم بالاحتياج الى اعلان منه تعالى وهو يعرف أن في أصل الانسان وطبيعته وآخرته والخطية وكيفية غفرانها وغلبتها مسائل بل مشاكل لا يقدر أن يحلها من تلقاء نفسه مع أن معرفتها وحلها ضروريان لاجل السعادة والطهارة

وان كان ملوك الارض يسنون الشرائع وينظمون القوانين لاجل راحة شعوبهم واسعادها أليس بالاولى لملك الملوك ورب الارباب أن يعلن شرائعه لاجل خير البشرية واسعادها؟ ولما كانت الحكمة البشرية عاجزة عن حل المشاكل العظيمة القائمة من جهة الله

والنفس والخطية والخلاص وخلود النفس مع أن معرفتها وحلها ضروريان لاجل أسعاد الانسان . دبر الله وجود الكتب الدينية حتى لا يترك الانسان في اضطراب الفكر وحالة اليأس . . وشهادة الفلاسفة في كل الاجيال سواء سلموا بذلك أم لا. تبين عدم قدرتهم على حل تلك المشاكل من جهة الله والنفس والخطية والخلاص والحياة الابدية. ومن أقوالهم التي تؤيد ذلك قول «صولون» ان قصد الآلهة مكتوم تماماً عن البشر . وقول «سقراط» ان كل معرفة صحيحة عن الالهة هي من الالهة . وقول «افلاطون» ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الالهة أو من أنبياء الالهة وليس من وسيلة لنعرف ارادة الالهة الا بنبي يعلنها لنا . وقوله أيضاً ان عقل الانسان يحتاج الى الانارة الالهية لفهم ما يتعلق بالله كما تحتاج العين الى نور الشمس لترى الموجودات. وقول «شيشرون» ان كل الاشياء محاطة بظلمة دامسة تسترها حتى لا تقدر قوة عقلية أن تكشفها

وما زالت الادلة على عجز العقل البشري في حل المسائل الادبية والدينية تزداد قوة ويصح في هذا الباب قول هيوم الكافر الشهير أن الديانة في كل ابوابها لغز وسر لا يحل وجل ما نحصل عليه من ادق البحث هو الشك وعدم التأكيد والتوقف عن الحكم يمائله قول الرسول بولس أن العالم لم يعرف الله بالحكمة .

وقد زعم بعضهم أن الكتب الدينية ما هي الا مؤلفات بشرية لا دخل لله فيها وأثبتوا زعمهم بالقول أن الاله غير المحدود لا يقدر

أن يخاطب المخلوقات المحدودة دون أن يجعل نفسه محدوداً وقد فاتهم ان الله غير المحدود هو مستقل بنفسه وذو مشيئة واختيار وأن الذي قدر أن يخلق المحدود يقدر أيضاً أن يخاطبه ويعلن مشيئته له بدون مخالفة احدى صفاته السامية

واذا نظرنا الى طبيعتنا الروحية وبحثنا عن احتياجاتها في احوالها الحاضرة رأينا أن الكتاب المقدس على غاية الموافقة لها لما حواه مما يكفي لسد حاجاتها فان فيه اعلان الخالق الذي في يده نسمة كل حي ومعه امرنا وحتى شعور رؤوسنا محصاة عنده وفيه أيضاً من الاوامر والنواهي ما هو على غاية الموافقة لاحوالنا ولامتناعنا عن كل ما هو مضرلنا ومهين بشأننا وبشأن خالقنا العظيم ولما يؤول الى خيرنا وسعادتنا . وفيه ما يكفينا من الفوائد في التعليم والارشاد وترقية افكارنا وتربية آدابنا للحياة الابدية وكل ذلك مما يفوق قدرة البشر وحكمتهم ولذلك بكل حق يجب أن نعتقد أن الكتاب المقدس هو الكتاب الذى يرشدنا الى الحق وأنه ناشيء عن عقل سالم وكائن عالم بكل شيء وهو الله العظيم .

واثباتاً لما تقدم نأتى بالادلة التي تبين صحة الكتب المقدسة

أولا — ادعاء رسل الله بأنهم مخولون باسمه وسلطانه أن يطلبوا الى الناس أن يقبلوا تعليمهم اطاعة لمن أنزله عليهم . فيلزم عن عدم تصديق دعواهم انهم اما مجانين أو كذبة وكلا الامرين باطل بدليل ما تبين لنا من حكمتهم وما صنعوه من الآيات لاثبات رسالتهم .

ثانيًا — قد صدر الكتاب المقدس من أيدي كتبة من البشر

ولا بد ان الذين كتبوه كانوا إما صالحين أو طالحين . فنسبته الى الناس صالحين يلزم عنه وجوب التسليم بأنهم ملهمون من الله . وأما نسبته الى الطالحين فباطل لانه لا يمكن صدور نظيره من الاشرار لما يحويه من مقاومة كل نوع من الشرور

ثالثاً — تضمنه حقائق سامية لاتعرف الا به تكفي حاجات طبيعتنا وتحل كل ما عجزت عقول البشر عن حله من المشاكل والمعضلات

رابعاً — ما فيه من وحدة المعنى مع ان أسفاره قد كتبت في أزمنة متنوعة وبواسطة أشخاص مختلفين ومع ذلك كل من يطالعها بالتدقيق يراها كأنها تأليف شخص واحد وصادرة عن عقل واحد

خامساً — ما فيه من النبوات والعجائب واتمامها في أوقاتها المختلفة يدل بالضرورة على انه من الله

سادساً — تأثيره العظيم في اصلاح الناس وتهذيبهم وقلب الاديان الفاسدة ونظام العالم كل ذلك انما هو لكونه من الله

سابعاً — الكتاب المقدس الآن هو نفس الكتاب الذي صدر من أيادي الكتبة الاطهار وهو منسوب نسبة صحيحة الى كتبته الذين أثبتوا رسالتهم بالمعجزات والآيات وقد تبين أيضاً انه لا يمكن تغييره أو تحريفه لأن الذي أوجده هو الله القادر على كل شيء ولذلك نعتقد بكل حق وصواب انه كتاب الله لعباده وان الشواهد التي نستدل بها منه على اثبات ما نحن بصدده هي حقيقة الحقائق وأساس كل علم وهو يعرفنا نفوسنا لان من عرف نفسه آمن بربه

الباب الثالث

فى حقيقة الانسان

انا اذا بحثنا عن مبدأ وجود الانسان في ميدان هذه الحيوة لا نجد ما يدلنا على الحقيقة سوى أقدم تاريخ وجد في العالم أي التوراة الشريفة لسيدنا موسى (عليه السلام) حيث يتضح منها كيفية خلقه سبحانه وتعالى لمخلوقاته التي آخرها الانسان الممتاز دونها بالعقل ونطق اللسان

ولكن الذين نبذوا الكتب الدينية ظهريًا ولم يعتقدوا بوجود الله قادهم المضل الى الضلال بأنه لا أصل لوجود الانسان وحاولوا نكران الحقيقة بآراء فلسفية وأوهام فكرية أثرت على كثيرين من بسطاء العقول الذين نراهم حتى الآن يفتخرون بمعانيها العارية عن الحقيقة

وقد رأينا ممن تصدوا لمعرفة أصل وجود الانسان فرقتين :

الاولى نظرت لتباين وجود الانسان من حيث تنوع شكله واختلاف ذريته وأحوال طبيعته وتلون جلده من أبيض لاسمر. واسود واصفر واحمر . وعلى هذا قالوا ان جميع الناس ليسوا متناسلين في الاصل من نوع واحد بل من أنواع متنوعة .

وأما الفرقة الثانية المؤسسة لمذهب (النشوء والارتقاء) بنت

معانيها عن أصل وجود الانسان من المشاهدة والاختبار فبعض الحيوانات المقاربة لشكل صورته والمماثلة لحركاته كنوع من القرود التي منها (الغورلا) و (الشمبازي) و (الاورانجوتن) حيث وجدوا منها ما يمشي منتصباً ويتسلق الاشجار ويعتاد على سهولة التعليم مع ان هذا ليس بأكثر مما تتدرب عليه بقية الحيوانات بالتهذيب والتربية والتعليم

وقد تنوعت المذاهب حتى صار لكل أمة عقيدة ولكل عقيدة مذهب ولكل مذهب استنباط معان يضارب بها المذهب الآخر لتأييد سلطته وتنفيذ رغبته حتى ان من حاز قصب السبق فى ميدان التورية والبلاغة . وان يكن على غير جدوى . أعد له المقام الأسمى والدرجة العليا في صدر هذا الوجود

أما نحن فلم يكن غرضنا أن نأتي بأدلة كتابنا عن حقيقة الانسان بأقوال فلسفية وجمل مبهمة وألفاظ معجمة بل بآيات الاهية وبينات علمية ومشاهدات حسية وشواهد حقيقية حتى نعرف أنفسنا ونسعى وراء الحقائق لننجو من ورطة الجهل ومن غرور وأباطيل هذا العالم لانه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه

واننا نجد ما يدلنا على كيان الانسان بهذا الوجود دليلين

(١) هو ما يؤخذ من شواهد الكتب المنزلة

(٢) من تطبيق النظريات العلمية على الشواهد الدينية متى وجهنا فكرتنا لطريق البحث عن مبدأ خلقتنا وتنوع مادتنا وتركيب بنيتنا وتكييف صورتنا ونظام تغذيتنا والى ما ينتهي اليه مصيرنا معما يترتب علينا أيضًا من تأثير الطواريء العرضية وغير ذلك مما يهمنا الوصول الى معرفته وبيان حقيقته

ولكن قبل الدخول في ما نحن بصدده ينبغي أن نذكر أولا بوجه الاجمال عن الانسان وما يداهمه من طواريء الزمان ثم نعود الى بيان تكوينه وما ذكرنا عنه بالدليل الثاني

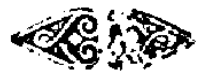

الانسان وطوارىء الزمان

ان قضاء الله ظهر على صورة محسوسة اولا في خلق الكائنات على درجاتها وانواعها وحين ابدع الجنس البشري ابتدأ تاريخ هذا العالم مكان سكناه

فمن المعلوم عقلياً ومن المقرر علميا ودينيا أن وجود الانسان من أب البشر آدم (عليه السلام) كان في الاصل نطفة من ماء مهين ثم صار علقة جامدة في قرار مكين ثم جنينا مصوراً ثم طفلا متحركا ثم شابا مدركا ثم كهلا عالما ثم شيخا فيلسوفا ثم هرما عاجزاً . هكذا مترددا في جميع اطوار حياته بين النوم واليقظة والمرض والصحة والعلم والجهل والسخاء والبخل والطمع والقناعة والمعصية والطاعة. مقدما على اللذات واقعا بالمصائب والحسرات. تتهدده مؤثرات جوية وتفترسه حيوانات ارضية. تسطو عليه العاهات والأمراض وتداهمه الطوارىء والاعراض حتى ينتهي به الدور الاخير أن يكون ضعيف القوى العقلية والحسية والعضلية تائها عن معارفه العلمية فاقداً للمزايا الشخصية واقعا في الضعف والانحطاط هابطا الى النحول . والنحافة والذهول . بعد أن كان متمتعا بمعظم اللذات والموجودات الطبيعية . من جواهر بهية وجنات ارضية. وما كل شهية. وغير ذلك مما تشتهيه الانفس وتتلذذ

به العيون ولكن مع الاسف ان دوام الحال من المحال اذ لابد عقب الذهول والاضمحلال . من التلاشي والزوال. والغيبة عن هذا الوجود لاحقين الاباء والجدود

وحيث بينا ما يفي بوجه الاجمال عن حالة الانسان وما يطرؤ عليه من المحن وتقلبات الزمن الا أن هذا لا يفِ بالغرض المطلوب حيث الغرض هو معرفة نوع المؤثر على مبدأ خلقتنا وتنويع مادتنا وتكييف صورتنا كما وأيضاً معرفة العامل بحركة أعضاء الجسد بعد تكوينه لنموه الى غير ذلك مما سيؤدي بنا للبحث عن خلود النفس بعد زوال الجسد من مرآة هذا الوجود الفاني

تكوين بنية الانسان

لقد دلت المباحث الطبية على ان الاصل في تكوين بنية الانسان هي العناصر الاصلية للمواد الغذائية التي قاعدتها كلا من المادة الهلامية والمادة الليفية والمادة الزلالية والمادة الدسمة وعليها يترتب وجود الانسجة الاصلية لبنيان الجسد . ثم بانضمام هذه الانسجة الى بعضها تتكون الاعضاء . و بانضمام الاعضاء تتكون الاجهزة. و بانضمام نظام وظائف هذه الاجهزة يتكون مجموع بنية الانسان

ثم اذا تأملنا لجسد الانسان نراه مكونا من جملة أعضاء ينقسم مجموعها الى قسمين . أعضاء ظاهرة وأعضاء باطنة . يمكن حصرها في اربعة اقسام . قسم الرأس . وقسم العنق . وقسم الصدر . وقسم البطن . و بالجملة فالجسد الانساني ما هو الا هيكل تحييه الروح وتديره النفس الناطقة

أما ما يدعيه اصحاب مذهب النشؤ الذاتي من أن الحياة العقلية والروحية والضمير . قد صدرت من حياة الحيوانات البكم الغريزية فهو مدحوض بأدلة كثيرة منها قدرة الانسان منذ وجوده على النطق بلغة مفهومة. فلو صح تسلسله من الحيوانات لتعذر تعليل حصوله على هذه الموهبة الشريفة لانه منذ انشاء العالم الى الان لم يسمع عن حيوان تكلم بلغة مفهومة أو تقدم شيئاً الى النطق بلغة تشبه اللغة البشرية . وايضاً ليس في تاريخ البشر ما يثبت مذهب «دارون»

لان تقدمهم في القرون الماضية لم يكن بموجب ناموس الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب بدليل انهم لا يزالوا على ما كانوا عليه وان فواعل تقدمهم هي من خارج أي من الله

ولو صح القول ان الانسان متسلسل من القرود لوجب ان تكون الارض مملوءة من الادلة على ذلك التسلسل مثل وجود هيا كل قرود كثيرة متحجرة لانه لما كان الجنس البشري حديث العهد كان ينتظر أن بقايا اسلافه توجد بكثرة في الطبقة العليا من طبقات الارض حتى لا يبقى اقل ريب في نسبته الى هذا الحيوان وليس لأهل هذا المذهب دليل على صحته اقوى من شعورهم أنهم متسلسلون من هذا الاصل الشريف . .

وأما كيان الانسان بحسب الوضع والتركيب الالهى هو من جسد وروح ونفس كما أيدت هذه الحقيقة شواهد وآيات كتب الله المقدسة كما جاء عن داود النبي (عليه السلام)

توراة — لذلك فرح قلبي وابتهجت « روحى » «جسدى » أيضاً يسكن مطمئنا لانك لم تترك « نفسي » في الهاوية (مز ١٦ :٨) ومما جاء عن بولس الرسول

انجيل — اله السماء نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ « روحكم » « ونفسكم »« وجسدكم » كاملة بلا لوم (ت ٥ : ٢٢)

فمنطوق هذه الاية الشريفة معما قبلها يدلان بمعنى صريح على ان تركيب الانسان هو من روح ونفس وجسد وان كلا من الروح

والنفس والجسد ملازمان للانسان بينما هو علقة منوية كما يدلنا على ذلك حركتها نسبة لوجود النفس وحيويتها نسبة لوجود الروح ومادتها نسبة لوجود الجسد

على ان ذلك الحيوان المنوى قد يشارك بجسده جسد الام من حيث قبول عناصر الغذاء بدليل علامات وجود الحمل . وقد يشارك بشهية نفسه شهية نفس الام بدليل تواجد علامات الوحم — وقد يشارك بقوى روحه قوى روح الام بدليل تنويع مادته وتكامل بنيته وتكييف صورته بعجائب الله وقدرته من وجود هذه الروح التي خصها الباري تعالى لنظام تكوين ذلك الجسد كما هو واضح من تكييف أنسجته وتركيب أجهزته وترتيب دورة الدم بأوعيته ونظام تغذيته مدى حياته الرحمية أو خارجًا عنها الى أن يتمثل بشراً سوياً ذكراً كان أم أنثى

واننا نستدل على كيان الانسان من المباحث الاتية : —

(١) عن تركيب جسد الانسان

(٢) عن وجود الروح في الانسان

(٣) عن وجود النفس في الانسان

المبحث الاول

عن تركيب جسد الانسان

لو تأملنا في صنع الله العجيب وتركيبه البديع للجسد الانساني نرى ما يدهش العقول ويحيّر الالباب ويشتت الافكار فيما أبدعه الخالق من الترتيبات والنظامات التي قل أن يضاهيها أشهر أنواع المعامل وأعظم الورش والفاوريقات التي لا تعد شيئاً يذكر بجانب ما للجسد الانساني من العـدد والآلات والتجهيزات لنظام حياته وتكوين بنيته التي تتركب من ستة منسوجات أصلية يتكون عنها أعضاء الجسد العام . وبانضمام هذه الاعضاء تتكون خمسة أجهزة هي « الجهاز الهضمي » و « الجهاز الدورى » و « الجهـاز التنفسي » و « الجهاز البولي » و « الجهاز التناسلي »

وحيث ان العامل بجميع هذه الأجهزة وبغيرها ايضاً في الجسد كلا من الروح والنفس فلا يتأتى لما يقع تحت حكم التلاشي والعدم كالمادة مثلا ايجاد ذلك النظام كما لا يتأتى لأي مخلوق كان أن يأتي بمثل تركيب شعرة واحدة من رأس ذلك الانسان المكيّف بحكمة أزلية وقوى هندسية يستدل منها على عظيم قدرة الخالق

فحياة الانسان تتوقف على الاوكسجين الذي يتنفسه وبحسب ذلك يولد الطفل مجهزاً بآلة التنفس (مع انه لم يكن يحتاج اليها قبل ولادته) استعداداً لحياته بعد الولادة وهي نهاية في الدقة والاتقان

ليتنقى بها الدم ثم يتوزع في كل الاعضاء ليلا ونهاراً بلا انقطاع

ثم اذا تأملنا لوظيفة الهضم والتغذية نراها أهم بكثير عن بقية الوظائف الاخرى لأجهزة الجسد سيما وان العامل الرئيسي فيها هو قلب الانسان لايصاله عناصر الغذاء بأوعيته الى عموم أجزاء الجسد لتغذيتها ونموها وايجاد روح الحياة فيها . .

ولا يحتاج الجنين أن يأكل الطعام ولكنه حالما يولد يصير محتاجاً اليه ولذلك قد تكونت فيه سابقاً كل آلات الاكل والهضم كالاسنان للمضغ التي تخزن في باطن اللثة الى أن تبرز في زمن الحاجة اليها والغدد اللعابية لتسهيل الازدراد والمريء لايصال الطعام الى المعدة والسائل المعدى لاتمام الهضم المعدى وكذلك السائل المعوى لاتمام الهضم المعوى . وفي المعدة والامعاء أوعية لا تحصى تمتص ما يوافق تغذية الجسد فينقل منها الى القلب والقلب يوزعه في كل الجسد فيأخذ منه كل عضو ما يحتاج اليه لاجل نموه وتغذيته

ثم ان الطفل لا يحتاج الى آلات للمشي والعمل قبل ولادته ولكن قد تكونت فيه الاعضاء اللازمة لذلك وهو لم يولد بعد . فخلقت له العظام واتصلت بعضها ببعض بمفاصل من كل الانواع لكي تتحرك وتحرك الجسد

وكما ان وجود القلب لازم لحفظ حياة الجسد وتكوينه من عناصر الغذاء . هكذا وجود العقل لازم لخدمة ذلك الجسد للعمل بما سخر له للحصول على أغذيته . .

على ان القلب لا يمكن أن يتحرك بدون الروح كما ان العقل لا يمكن أن يدرك بدون النفس . فمن ذلك يعلم ان لا غنى لاحداهما عن الاخرى لقيام ذلك الجسد حياً في ميدان هذا الوجود كما قدمنا

فمما سبق يتبين ان أعضاء الجسد تنقسم الى قسمين قسم منها مسخر لعمل الروح كدوام حركة القلب والتنفس بالرئتين ونظام وظائف الاحشاء البطنية لتغذيته وحفظ حيويته. والقسم الثاني مسخر لعمل النفس كحركة الاعضاء الظاهرية للجسد التي منها الاطراف العليا والاطراف السفلى وغير ذلك مما تستعين به النفس لجلب ضروريات الغذاء لحياة ذلك الجسد وذلك بما تدربت عليه من الصنائع والفنون أو المعارف والعلوم

المبحث الثاني

— الروح —

يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

فالروح اذن سر من أسرار الباري تعالى . ولذا تاهت في بحار معانيها العقول ولم يصل الى معرفتها الحكماء مع الفلاسفة . فمن قائل ان الروح هي الدم . أو انها بخار يتكون من صفوة الغذاء في تجويف القلب ومنه يسرى الى الاطراف البدنية. وآخرون يقولون ان الروح كناية عن الاخلاط الاربعة المتعادلة بالكم والكيف أي البلغم والسودا والدم والصفرا كما يقول بعض المتأخرين انها سيال أو أثير أو جوعصبي . .

وقد عني الطب عن هذه الروح بما يسمى بالعظيم السيمباتوى أي الفعل المشترك لسبب مجهول وهكذا جملة معاني وأقوال مأخوذة من ينبوع الوهم اذ لم نصل بها الى دليل عن حقيقة هذه الروح التي عنوا بها أحياناً عن النفس غير مميزين احداهما عن الاخرى

وأما نحن فليس بوسعنا أيضاً أن نقول عن الروح خلافاً لما تبين لنا مما جاء عنها بالكتب المنزلة من انها قوى روحية من ينبوع القدرة الازلية لله تعالى الخالق لكل ما يرى وما لا يرى

القوى الروحية والحركات القلبية

ان هذا العضو الذي هو القلب أوجده الباري تعالى بمركز حصين كتجويف الصدر وخلف الاضلاع العظيمة فضلا عن كونه أيضاً محفوظاً من داخل كيس يشتمل على سائل زلالي ليقيه من الطوارىء والمؤثرات الخارجية منعا لخلل حركاته أو تكدر نظام ضرباته . ثم اذا نظرنا لشكل صورته ومتانة عضله واعتدال مرونته ونظام حركته واهمية وظيفته التي هى ايصال عناصر الغذاء الى عموم أطراف البدن لتغذيتها ونموها . نجد أن مثل هذا النظام لدوام حركة قلب الانسان لا يتأتى الا بوجود عامل مدرك روحاني لا الى عامل عصبي أو كهربائي أو مغناطيسي أو غير ذلك مما لايسلم به العقل لان كتب الله المقدسة قد أغنتنا عن مثل هذه التصورات اذ قد ايدت لنا عن ذلك العامل أنه قوى روحية من الله تعالى قد خصها بقلب الانسان لدوام حركته ليلا ونهارا بدون انقطاع ما دامت لنا الحياة بهذا الوجود الى ان ينقضى الاجل . .

وأما اذا طرأ على القلب أى سبب فجائي أبطل حركته نجد عموم أعضاء الجسد ووظائفها تبطل حركتها أيضاً . فالوفيات الفجائية المعنى عنها بالسكتة القلبية تنسب حينئذ لامتناع الروح عن حركة قلب الانسان

وكما ان الموت الفجائي للسكتة القلبية ينسب لامتناع الروح عن حركة القلب هكذا ايضاً الموت الفجائي للسكتة المخية ينسب أيضاً

الامتناع عودة النفس الى مركز ادارتها وهو المخ كما سيتضح ذلك عند الكلام عن النفس

ومن الملاحظات الاتية نستدل على وجود الروح بقلب الانسان

اولاً — ما نراه من دوام حركته ليلا ونهارا بدون انقطاع

ثانياً — أنه بدوام هذه الحركة تدوم حياة الانسان

ثالثاً — أن حركة القلب لا بد لها من محرك فضلا عن انها مستقلة بنفسها بمعنى ليس للعقل (أى لارادة النفس الناطقة) سلطان على منعها الا اذا كان بقضاء رباني أو ايعاز شيطانى يؤدى بالانسان الى الهلاك كالمبارزة وأنواع الانتحار أو غير ذلك مما يمنع وجود الروح أو النفس المؤتلفتان بحكم الاهي على نظام حياة الجسد

رابعاً — يعتبر وجود الروح في قلب الانسان بالنظر لاهميته في تأدية وظيفته حيث تخرج منه وتتصل به اوعية دموية تحمل عناصر الغذاء الى عموم اطراف البدن لنموها وايجاد روح الحياة فيها

خامساً — حيث ان القوى التي تنوع اغذيتنا وتكيف بنيتنا وتحفظ حيويتنا لا بد لها من صلة بالعلم والقدرة والحياة فحينئذ يتحتم من ان الروح هي من الله

سادساً — من شواهد كتب الله المقدسة التي اظهرت نور الحقيقة حيث يتضح منها ما يدعونا الى الاعتراف بأن الروح التي تؤثر على دوام حركة قلب الانسان هي من الله سبحانه وتعالى المبدع والمكيف لجميع الكائنات

شواهد الكتب الدينية

توراة — فيرجع التراب (أي الجسد) الى الارض كما كان وترجع « الروح » الى الله الذي أعطاها (جامعة ١٢ : ٧)

ومنه — وأضع عليكم عصباً واكسيكم لحماً وابسط عليكم جلداً واجعل فيكم «روحا» فتحيون وتعلمون اني انا الرب (حز ٣٧ : ٦)

ومنه — فها انا آتي بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه « روح » حياة (تك ٦ : ١٧)

ومنه — عن ايوب حيث يقول عن الله

اليس بيده «نفس» كل حي «وروح» كل البشر (ص ١٢ : ١)

ومنه — عن النبي داود حيث قال

تنزع « ارواحها » فتموت والى ترابها تعود

انجيل — كما ان الجسد بدون «روح» ميت هكذا الايمان بدون اعمال ميت (يع ٢ : ٢٦)

ويظهر ذلك جليا من جملة شواهد تنحصر نتائجها تحت الثلاثة ادلة الاتيه : —

الدليل الاول — يؤخذ من تسلسل النوع البشري عن ابينا آدم وامنا حواء لانهما المبدأ الاصلي لكل جسد فيه روح حياة

الدليل الثاني — يؤخذ مما للروح من التأثير الظاهر على نظام البنية الانسانية

الدليل الثالث — يؤخذ من الظواهر الظاهرة لمشاركة الروح مع النفس على العمل بأعضاء ذلك الجسد لقيامه حيا في ميدان هذا الوجود الى ان ينقضي الاجل

obeikandl.com

— الدليل الاول —

(عن وجود الروح في الجسد)

اذا تأملنا في كيفية تسلسل النوع البشرى ووجهنا النظر الى ابينا آدم من حيث شكل صورته وتركيب بنيته لوجدناه كما نحن عليه الان من تمام الوضع وكمال التركيب أى لا فرق بيننا باتحاد النوع والشكل والصورة . وهكذا لو قارنا أيضاً بين امنا حواء مع غيرها من باقي النساء لوجدنا انه لا فرق بينهم من حيث الشكل ونظام الوضع وذلك لتماثل الجهاز التناسلى بين كل ذكر وانثى من مبدأ الخليقة الى ان تقوم الساعة اذ لا دليل يدلنا الى الآن عن كيفية تسلسل النوع البشري سوى وجود نطفة منوية تشتمل على ديدان صغيرة تكاد لا تدركها النظارات المعظمة . ذات حركة حيوية (أى روحية) قضت لها ارادة الباري تعالى أن تتكيف من شكل العلقة الى صورة الانسان كما قضى للبذرة الصغيرة ان تتحول الى شكل الشجرة والبيضة الى شكل طائر .

وهكذا توجد ظواهر اخرى تدعونا الى عبادة المبدع والمكيف لهذا الوجود بسلطان ارادته وسمو مدارك حكمته بترتيب غريب ونظام عجيب لم يتغير من بدء الخليقة الى الان . .

وكل من يتأمل في هذه الدنيا ويشاهد ما هي عليه من الوضع المنظم والترتيب المحكم لكيفية التوالد ونظام التسلسل وتكاثر

الجنس وتشابه النوع مع النظر لباقي المخلوقات وترتيب انواع الكائنات وارتباط العلل بالمعلولات وضرورة خدمة بعضها الى بعض. يجد ان جميع الكائنات معجزات الاهية تفوق المدارك البشرية ولا يوجد ما يدلنا على الحقيقة سوى ان المادة المنوية متى وجدت بطبيعة الميل الغريزي للانفس المتحابة وكانت الديدان الداخلة في تركيب تلك النطفة المنوية عديمة الحياة (أي لا روح فيها) فلا يتأتى منها النتاج بخلاف ما اذا كانت تلك العلقة الصغيرة متمتعة بقواها الحيوية نسبة لوجود الروح فيها فانها تتحول الى صورة جنين ينمو في بطن امه الى ان تتكامل مدته ثم يندفع خارجا الى ميدان هذه الحياة . فيتحتم علينا والحالة هذه الاعتراف بأن اصل الانسان هو من تلك النطفة المنوية التي تدلنا مادتها على وجود «جسده» وحيويتها على وجود «روحه» وحركتها على وجود «نفسه» حيث مصدر الحركه تابع لارادة النفس كما يرى ذلك من تلاعب الجنين في بطن امه بينما ينمو بتغذيته لتكامل بنيته الى ان تنقضي مدته

وكما ان بيضة الطائر منطبع فيها ذات وشكل صورة الطائر . والبذرة الصغيرة منطبع فيها ذات وشكل صورة الشجرة هكذا أيضاً العلقة الصغيرة منطبع فيها ذات وشكل صورة الانسان منذ بدء الخليقة للآن . .

ومع هذا لو فرضنا ان المادة المنوية ينتج عنها كائن حي. أفهل يمكن للطبيعة أن توجده بغير الارادة ؟ ولو فرضنا أيضاً بأن الأنفس

البشرية لم يكن لها ارادة على اتمام وظيفة التناسل . أهل بامكان الطبيعة أن توجد ذلك الكائن ؟ ثم لو لم تكن الروح سارية بمادة تركيب ذات العلقة . أهل يمكن للطبيعة ايجاد المولود منها ؟ فمن هنا حينئذ يؤخذ أعظم شاهد على وجود قوى روحية من طبيعة ليست مادية لها السلطة والسلطان على المادة وتنويعها وتكييفها حسبما أرادت لا كما يقال ان المادة القابلة لحكم التلاشي هي علة العلل والسبب لجميع الكائنات

الدليل الثاني

عن وجود الروح في الانسان

سبق قدمنا ان وجود الروح في الجسد يؤخذ مما لها من التأثير الواضح على نظام البنية الانسانية . .

ولسهولة معرفة هـذا النظام نبين ان جميع أعضاء الجسم وما يتألف منها تنقسم الى قسمين . . قسم منها واقع تحت حكم النفس البشرية الناطقة التي مركزها كتلة المخ . . والقسم الثاني واقع تحت حكم الروح التي مركزها قلب الانسان بدليل ان ليس من وظيفة الروح أن تمنع اليد أو القدم عن الحركة بما انهما تحت سلطة النفس كما ان ليس للنفس أن تمنع القلب عن الحركة بما انه تحت سلطة الروح

وعلى ذلك نرى ان القلب يتحرك والرئتين تتنفس الهواء (كما عند النوم أيضاً) والمعدة تهضم الغذاء ودورة الدم تنقل عناصر الغذاء الى عموم أطراف البدن لنموها وهذا فضلا عن كيفية تنويع مواد الغذاء مع ما يخالطها من المرطبات وأنواع المشروبات الى سائل بولي أو زلالي أو مني أو لعاب أو عصير معدي أو معوي أو صفراوي أو عرق أو دهن أو مخاط أو دموع أو تحويلها الى شعر أو أظافر أو الى غير ذلك مما يعين على تكوين بنيتنا وحفظ حيويتنا . فكيف هذا جميعه

يتم بغير معلوميتنا بل خارجاً عن ارادتنا ومعقوليتنا ؟ ولمن ينسب ذلك الفعل بأجسادنا؟ ومن هو المرتب والمنظم لحياتنا ؟ بل كيف ان الاحشاء البطنية تنتظم حركاتها وتتمم وظائفها بغير ان تدرك النفس الناطقة بهذا العمل كما لا يشعر بذلك المخ والاعصاب وأجهزة الحواس . .

أفهل يقال ان للمادة عقل خاص به تدرك عمل هـذا النظام الغريب والترتيب العجيب ؟ أو هل تتكيف اعضاء الجسد من تلقاء ذاتها بغير مكيف لها ؟ أو هل يقال بأن اعصابها وأنسجتها ولحميتها وأوعيتها تفعل ذلك الفعل بمعقوليتها ؟ أو يقال عن سائل الدم المندفع بحركة القلب لري عموم اطراف البدن ان تتم له هذه الحركة بغير محرك لها ؟

فان كانت جميع تلك الظواهر والتأثيرات على نظـام البنية لا يدركها العقل ولا تشعر بها أجهزة الحواس فلمن ينسب ذلك النظام الا لهذه الروح وسلطان القوى على المادة !

الدليل الثالث

عن وجود الروح فى الانسان

قد ذكرنا عن هـذا الدليل انه يؤخذ من الظواهر الظاهرة لمشاركة الروح مع النفس على العمل بأعضاء الجسد الى ان ينقضي الاجل . .

فاذا بحثنا عن الحركات المختصة بالجسد الانساني سواء كان بالنظر لاعضائه الظاهرة أو لاعضائه الباطنة نجد جميعها ينقاد بحسب التعريف العلمي الى ملكين رئيسيين الاول هو ما كان يسمى بملك الارادة (أعني به المخ) والثاني ما يسمى بملك غير الارادة (أعني به العظيم السيمباتوى) الدال معناه على الفعل المشترك لسبب مجهول .

مثاله اذا تثاءب شخص ثم نظر اليه شخص آخر تثاءب مثله أي انهما اشتركا بالفعل والسبب مجهول .

وليس هذا التصوير الوهمي بأكثر غرابة من ان البعض يعتبر هذا العظيم السيمباتوى كناية عن عقد صغيرة على جانبي سلسلة الظهر تتصل بأعصاب النخاع الموجود في داخلها ومن هـذه العقد تخرج اعصاب اخرى تتوزع على عموم الاحشاء البطنية كالقلب والمعدة ونحو ذلك لادارة حركتها ونظام وظيفتها (فكأن الغرض من المخ وأعصابه والعظيم السيمباتوى وأفرعه العقل والادراك لنظام حيـاة الجسد)

ثم قالوا كما ان الملك الثاني يحكم على الاعضاء البطنية كذلك الملك الاول يحكم على الاعضاء الظاهرة كالايدي والأرجل ونحوهما ويتعاون هذين الملكين معاً على العمل بأعضاء الجسد تقوم الحياة

وان يكن هذا التقسيم طبياً الا انه مبني على التصور . وهو بعيد عن الحقيقة لانه مأخوذ من فلسفة من لا يعتقدون بالله وفوق ذلك لانه مبني على اسباب مجهوله

ولو تأملنا في آيات وشواهد الكتب المقدسة لوقفنا على معرفة هذين الملكين و بيان حقيقتهما كما سيأتي : —

فالملك الاول أي ملك الارادة العامل بحركة الاعضاء الظاهرية للجسد . الغرض به حلول النفس البشرية الناطقة على البدن زمن اليقظة حيث بوجودها بعد ان كانت في صحارى الاحلام يتواجد كلا من العقل والادراك والشعور بأجهزة الحواس والحركة بأعضاء ذلك الجسد للسعي وراء المعيشة وغير ذلك مما تستلزمه وسائط الحياة لانه بغير زمن اليقظة كما عند النوم مثلا نجد انه مع وجود المخ وأعصابه لا عقل ولا ادراك ولا شعور بأجهزة الحواس ولا الحركة بأعضاء الجسد الظاهرية سوى ما كان فقط تحت ادارة وسلطة الروح كحركة القلب والتنفس بالرئتين وغير ذلك مما يدعو لحفظ ونظام وظائف الاعضاء

فملك الارادة يطلق على النفس البشرية الناطقة كما سيأتي في المبحث الثالث

وأما عن الملك الثاني أي ملك غير الارادة فالغرض به وجود الروح بقلب الانسان لاستدامة حركته بحيث لو منعت عن ذلك لحصل الموت وتلاشت جميع أنسجة الاعضاء الجسدية

على ان البعض يقولون عن الروح انها نتيجة التوازن الحاصل بين وظائف الاعضاء . حال ان هـذه الاعضاء لم يكن لها بحسب تركيبها المادي أي عمل من تلقاء نفسها الا بتأثير قوى الروح الدافعة لها على العمل .

فنظام فعل الروح هو السبب لوجود هذا التوازن الحاصل بين وظائف الاعضاء المسخرة لها حيث يترتب عليها تأدية وظيفتها وتكوين مادتها وتكييف صورتها ونموها وايجاد حيويتها

ثم قالوا عن الحياة انها نتيجة المجتمع للخصائص الكيماوية الطبيعية لخلاياه الجسمية . مع ان هذا التفاعل الكيمائي الناتج عن افراز الجدر البطنية أو عن ارتشاح عناصر مواد الغذاء في تجويفها أو ملامسة او كسجين الهواء لها مما يدل على وجود الروح القائم بها نظام تكوين تلك الخلايا مع ذلك التفاعل الكيمائي أيضًا كما يعلم ذلك من حصول التفاعل الكيمائي بغير زمن وجود الروح أي عند الموت بدليل ما نراه من سلطة التحليل على التركيب كما هو المشاهد عند التعفن الرمى وعلى ذلك يكون لا فرق بين موت الانسان وحياته المتوقفة على وجود هـذه الروح لا على نتيجة المجتمع للخصائص الكيمائية الطبيعية لخلاياه الجسمية .

وأليس من الغريب أن يقال عن تلك الخلايا ان لها خصائص كيمائية طبيعية بحسب تركيبها المادي بدون سبب بين ينسب له ذلك الفعل أو التفاعل ؟

وكيف كان حال تلك الخلايا قبل ظهورها بينما كان الانسان نطفة ليعلم ان كانت الحياة سارية في مادة تكوينه بينما هو علقه أم لا ؟ اذ لو لم تكن الحياة سارية في مادة التكوين لما تأتى وجود ذلك الجسد ولا خلاياه ولا الخصائص الكيمائية أيضاً

أفهل بعد وجود هذه الأدلة الصريحة ما يدعو الى عدم الاعتراف بسلطان القوى على المادة والا ينبغي أن نترك ما يقال عن الادراك انه بجوهر المخ وان كبر العقل بكبر الدماغ أو ان الشعور أو الاحساس بالاعصاب أو غير ذلك من التصورات الوهمية التي يبثها علماء المادة في عقول الناشئة لتنبت لهم شوكا وحسكا بل زرعاً فاسداً لا يجدى نفعاً سوى الضلال والبعد عن معرفة الله سبحانه وتعالى ؟

وهل يبعد عن العقل ان من أوجد للمغنطيس قوى على جذب المعادن ان يجعل لهذه الروح قوى أيضاً على دوام حركة القلب كما يجعل للنفس البشرية الناطقة قوى تؤثر بها على حركة ما سخر لها من أعضاء الجسد ؟

المبحث الثالث

عن وجود النفس

وجبل الرب الاله آدم تراباً من الارض . ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية (تك ٢ : ٧)

كوّن سبحانه وتعالى من تراب الارض جسد أب البشر آدم (عليه السلام) وليس ذلك بأكثر من أن يقول للشيء كن فيكون لكل ما هو سابق في علمه . فكان جسد آدم مبدئياً كما لو كنا في سبات عميق أو نوم مستغرق بمعنى انه كان في مبدأ خلقته جسداً حياً ليس متحركا ولا مدركا حيث كانت جميع أعضاء حركته وأجهزة حواسه لاوظيفة لها كما لو كان الانسان نائماً أي قاصراً بحياته على وجود الروح بجسده فقط كما يدلنا على ذلك الكتاب المقدس نفسه حيث قال

الرب باسط السموات ومؤسس الارض وجابل روح الانسان في داخله (زكريا ١٢ : ١)

ثم ان الله سبحانه وتعالى بعد ان جبل آدم نفخ في أنفسه نسمة حياة فوجود الأنف لقبول النفخة من الروح الالهي الطاهر. دليل على سبق نظام الجهاز التنفسي ونظام وظائف الاجهزة الباطنية للجسد وما تلك النفخة القدسية من القوى الازلية الا دليل على وجود النفس البشرية الناطقة التي حين حلولها وتواجدها في الجسد المجبول

(صار آدم نفساً حيه) أي تواجد لها مظهر هذا الوجود بوجودها كما تواجدت الحركة والشعور بأجهزة الحواس أعني صارت الاطراف تتحرك والأعين تنظر والآذان تسمع وهكذا كما لو كان الانسان نائماً ثم عاد الى اليقظة . كما يبين ذلك ما جاء عن أيوب حيث قال

روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني (ص ٣٣ : ٤)

وحيث كان الغرض من النفخة القدسية أو نسمة القدير حلول النفس البشرية الناطقة على جسد أب البشر آدم كما بينا صار حينئذ من السهل علينا بيان معنى قوله تعالى فلنخلق انساناً على صورتنا وشبهنا وذلك متى نظرنا الى التوجيهات الآتية : —

(١) بما ان النفس من طبيعة جوهرية

وليست مادية فهي قريبة الشبة بالله.

(٢) بما انها من طبيعة أزلية روحانية » » » »

(٣) بما انها فاعلة مريدة مختاره » » » »

(٤) بما انها تحكم وتنهى وتتصرف » » » »

(٥) بما لها من السلطة على الموجودات

من حيوان ومعدن ونبات » » » »

(٦) بما انها تنطق وتعقل وتختبر وتتبصر » » » »

(٧) بما انها خالدة وغير قابلة للفناء والعدم » » » »

فالنفس اذاً هي نفخة قدسية من نفس روح الله الازلية قضى لها ان تتشكل بصورة الذات الانسانية من حين النشأة الاولى الى

ما بعد الدور الاخير للحياة الجسدية أيضاً

و بالمعنى الواضح لكشف الحقيقة نقول عن النفس انها الصورة الخيالية للذات الجسدية . . أي الشبيهة بصورة الانسان المنطبقة على سطح المرآة اذ بهذا الشكل دون غيره تتعارف الانفس بما يماثلها من الصور الخيالية وغير الخيالية للانفس البشرية وغير البشرية أيضاً كما يدلنا على ذلك صور الاشباح واختلاف المرئيات في أحوال المنامات الامر الذي لا يحتاج الى دليل من وجود عالم آخر روحاني غير هذا العالم المادي

واذا بحثنا عن هذه النفس للوقوف على حقيقتها لم نجد ما يدلنا على كشف أسرارها سوى كتب الله المنزلة التي أعدها الباري تعالى لتعليمنا كما خص الانبياء والرسل (عليهم السلام) ان يكونوا معلمينا لاننا لم نر للان مما دونته لنا أساطيل الاولين . ولا مما أيدته لنا تواريخ الاقدمين . ولا ممن استهوتهم الشياطين وشغلتهم بالدنيا عن الدين . من يكشف لنا ظلام الجهل عن بصيرتنا . أو يرشدنا الى بيان حقيقتنا سوى ما قامت به الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من كتب الله المقدسة التي هدتنا الى معرفة النفس ومصدرها وخلودها كما سيتضح للعيان من كتابنا حقيقة البيان

الشواهد الدينية

على وجود النفس الانسانية

توراة — اني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل « نفس » حية في كل جسد (تك ٩ : ١٥)

وعن اسحق (عليه السلام) لابنه عيسو حيث قال

واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لآكل حتى تباركك «نفسي» قبل ان اموت (تك ٢٧ : ٣)

وعن ايليا (عليه السلام) حيث قال

قد كفى الان يارب خذ «نفسي» لانني لست خيراً من آبائي

وعن أيوب (عليه السلام) حيث قال عن البارى تعالى

أليس بيده «نفس» كل حي وروح كل البشر (ايوب ١٢ : ١٠)

وعن يونان (عليه السلام) حيث قال

فالان يارب خذ «نفسي» مني لان موتي خير من حياتي (يونان ٤ : ٣)

انجيل — ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن « النفس » لا يقدرون أن يقتلوها (متى ١٠ : ٢٨)

ومنه — لانه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر « نفسه »

أو ماذا يعطي الانسان فداء عن « نفسه » (مر ٨ : ٣٧)

قرآن — أتأمرون الناس بالبر وتنسَون « أنفسكم » وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

وعنه — واتقوا يوماً لا تجزي «نفس» عن «نفس» شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم يُنصرون

وعنه — فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووُفّيت كل «نفس» ما كسبت وهم لا يُظلمون

وعنه — وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم «أنفسكم» إن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم

وعنه — من عمل صالحاً « فلنفسه» ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

وهكذا توجد شواهد كثيرة تدل على وجود النفس التي مصدرها الله ومركزها كتلة المخ والتى هي العامل المعنوي لحياة الانسان

ومما يدل على الميل الغريزي للنفس البشرية على خدمة الجسد هو ما نراه مبدئياً من حركات الجنين في بطن أمه وذلك لغرض وميل النفس الى العمل بما أعد له من أعضاء. ثم هكذا تزداد تلك الحركات والاضطرابات في بطن الام الى أن يطاق سبيله من ذلك السجن المظلم ويبدو حينئذ للنفس دلائل العمل بأعضاء الطفل كما نرى ذلك عقب الوضع حيث نجده يتمم وظيفة المص والازدراد من تلقاء نفسه بغير مرشد يهديه الى معرفة هذا العمل من علماء المادة أو فلاسفة الطبيعة

ثم هكذا تتدرب النفس على العمل بأعضاء ذلك الطفل حتى

انها كلما نمت وتكاملت بنيته تتظاهر النفس بمظاهر القوى على الاعمال. كما نرى من تباين حركات الاطفال واختلاف أميالهم الى ما بعد زمن الرضاع وسن الفطام حيث أيضًا تتنوع مواد الغذاء وتتكيف بنظام روح التكوين الى ما يوجب نمو الشعر وخروج الاسنان وغير ذلك من الاستعدادات اللازمة لنمو وتكوين بناء الجسد الى بلوغهم سن الرشد حيث تستعد نفوسهم لقبول التربية والتهذيب مع الاقدام على أي عمل كان لطلب القوت وايجاد لوازم الحياة . .

ومهما تنوعت أميال قوى النفس سواء كان لتحسين حال وجودها بين ذويها أو اقبالها على تأييد مكانتها ورفعة شأنها فهذا لا يغنيها عن طلب القوت الضرورى لحفظ حياة الجسد

والذي يقربنا الى معرفة وجود النفس مع جميع هذه الحقائق المار ذكرها هو مانراه عند اليقظة (أي حين حلول النفس على الجسد) يتواجد معها كلا من العقل والادراك والتصور والفطنة والتمييز والذكاء وغير ذلك مما لها من الصفات الاكتسابية التي تستدعي راحة الانسان في معيشته وهكذا عند ما تفارق الجسد سارحة في صحارى الاحلام كما عند النوم فانّا نراها أيضاً تعقل وتدرك وتنظر وتسمع وتلتذ وتفرح كما لوكان الانسان بحال اليقظة سواء بسواء

ومما سبق يتبين أن ادراك النفس وشعورها بما يحتاط بها لاتحتاج فيه الى توسط اجهزة الحواس ولا الى وجود كتلة المخ ولا

الى غير ذلك مما لا يعقل ولا يدرك من بقية أعضاء الجسد لان هذه جميعها آلات اعدها الباري تعالى لظهور قوى الروح والنفس وأنها من طبيعة مادية عرضة للتلاشي والفساد بل الى الفناء والعدم بخلاف تلك النفس التي اذا ما فارقت جسدها الكثيف المادي سواء كان عند النوم أو بعد الموت تبقى بطبيعتها الروحية متمثلة بالصورة الجسدية متمتعة بقواها العقلية مدركة للخير من الشر ولذلك تسأل عما كانت تفعل بدنياها لتنال الجزاء الاخير يوم الموقف العظيم حيث يكون هناك اما البكاء وصرير الاسنان واما الراحة في فسيح الجنان

وعلى ذلك لا يجب أن تعطى النفس الامارة بالسوء هواها ولا نخالف وصايا خالقها ومولاها اذ لم يكن الغرض من وجودها أن تتبع خطوات الشيطان وتغضب الرحمن لا بل تتجنب اقوال المضلين من ماديين وطبيعيين وتتمسك باقوال الانبياء والمرسلين وتعاليم كتب الدين لانك ياهذا ضيف راحل وطيف زائل ولا ينفع المرء بدنياه سوى ما عمل من الصلاح لاخراه

ويجدر بنا أن نذكر آراء الكثيرين من العلماء الذين تبحّروا في معاني النفس وأتوا عنها بجملة ادلة وبراهين متنوعة ليست تحت طائل . اذ لم نجد من أتى عنها بمعنى صريح يدلنا على معرفتها أو بيان حقيقتها ليعلم القراء أن مباحثهم الدقيقة مبنيّة على اقوال ومعاني جوفاء لا تفي لكشف الحقيقة حيث وجدنا فريقاً منهم يقول : —

الانسان عبارة عن هذا الجوهر النفساني والبدن (ولم يتعرضوا لمعنى وجود الروح فيه)

وفريق آخر يقول أن النفس اذا تعلقت بالبدن واتحدت به صارت النفس عين البدن والبدن عين النفس ومجموعهما بعد الاتحاد هو الانسان فاذا جاء الموت فسد البدن وبقيت النفس

وقد نقل عن مالك وغيره أنها جزء من اجزاء الهيكل غاية الامر أنه شفاف شعاعي الصورة

وقال بعضهم أن النفس في مبدأ خلقتها خالية من الصفات الفاضلة كلها ولذا احتاجت الى آلات تعينها على اكتساب الكمالات وبما أن تلك الآلات مختلفة فيكون لها بحسب كل آلة فعل خاص واذا حصلت لها الاحساسات توصلت منها الى الادراكات ونالت حظها من العلوم والاخلاق المرضية

وقال ارسطاليس أن فائدة هبوط النفس الى هذا العالم لتستفيد منه معرفة وكمالات كانت كامنة فيها وهي في العالم العقلي بافراغ قواها عليه أو أظهار افاعيلها فيه حتى تصير واقعة في الوجود ولولا ذلك لكانت تلك القوى والافاعيل فيها باطلة ولكانت النفس تنسى الفضائل والافعال المحكمة

وقال بعضهم أن من صفوة الغذاء يتكون بخار لطيف في تجويف القلب الايسر الذي هو الروح وبه تتعلق النفس الناطقة القابلة للايمان. وهكذا نرى جملة تفاسير ومعاني متناقضة لم تأتنا بدليل يدل

على معرفتها أو يكشف لنا عن بيان حقيقتها بمعنى واضح كما تبين من الادلة السابق ذكرها في كتابنا حقيقة البيان

النتيجة ـ علم لنا مما تقدم جميعه ومن الشواهد السابق بيانها ما يأتى : ـ

(١) ان الروح والنفس هما قوتان روحانيتان مؤتلفتان بحكم الاهي على نظام تكوين الجسد (أى بوجود الروح مع النفس تتواجد حياة الانسان) . . .

(٢) اذا مُنعت الروح عن ملازمة حركة القلب أو منعت النفس أن لا تعود الى الجسد باي حكم قضائى كان . فهذا يدل على موت جسد الانسان

(٣) اذا وجدت الروح لحفظ حياة الجسد وفارقتها النفس الى صحارى الاحلام فهذا ما يدلنا على النوم

(٤) اذا عادت النفس الى الحركة باعضاء ذلك الجسد لوقايته وايجاد مواد الغذاء لحفظ حيويته فهذا مما يدلنا عن اليقظة

وحيث اقتصرنا الى هذا الحد وبيّنا عن كيفية تكوين الجسد الانسانى بمعاني يسهل على العامة معرفتها من حقيقة بيان انسجة وأعضاء حركة ودورة الدم بأوعيته وكيفية تغذيته وتأثير الروح على القلب لدوام حركته وترتيب نظام بنية الجسد وحيويته من مبدأ خلقته الى مابعد ولادته مع شواهد الكتب المقدسة . وأيضاً مصدر النفس البشرية الناطقة ونظام عملها المترتب عليه كيان الجسد ومدار

العمران وغير ذلك من الاسرار المرصودة في بطون الاوراق كما بينا في هذا الكتاب

وبما أن النفس تتصف بالعقل والادراك فيكون لها حينئذ حق الخيار فيما تشاء وتختار سواء كان في الليل أو في النهار ولكن مما هو مقرر وتحت المشاهدة والاختبار أننا كثيرا ما نرى النفس تتردد بين فعل أمر من عدمه كما قد تكون أحيانا مدفوعة الى فعل ذلك الشيء بمؤثر آخر غير محسوس يترتب عليها بسببه اما فرحا وبهجة وأما ندما وحسرة . وعلى ذلك يقتضي وجود قوى أخرى تسطو على قوى ارادة النفس فتستميلها اما لعمل الخير واما لعمل الشر وذلك تبعا لنوع ذلك المؤثر لان الجسد يشتهي ضد الروح والروح تشتهي ضد الجسد ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد . . وأنا نكتفي بما تقدم من الشواهد التي تبين حقيقة كيان الانسان من أن تركيبه أي تكوينه الالهي لم يخرج عن الجسد والروح وعن هذه النفس التي نحن بصددها الآن وسنبين ما يطرؤ عليها من الطواريء الروحانية ليتبين لكل لبيب نقط الضعف فيه فيرجع الى الحق لان الرجوع الى الحق فضيلة . .

الطوارىء الروحانية

على الانفس الانسانية

قضت ارادة الله السامية وحكمته الغير متناهية بترتيب وضع الكائنات على اسلوب بديع لا يمكن للعقول البشرية أن تدرك كنه حقيقته بل غاية مايقال أن كل ما هو كائن من قديم الازل هو هو بعينه لن يتغير ابدا وقد أنعم بها ووهبها لخدمة النفس الانسانية الناطقة التي اكرمها وخلقها على شبه صورته ومثاله لتقوم بواجب شكره وعبادته لا الى معصيته كما هو غرض ابليس من مبدأ خلقته

نعم هكذا دلتنا الكتب المقدسة من أنه سبحانه وتعالى عند ما خلق أبونا آدم وأمنا حواء في جنة عدن امرهما أن يأكلا من جميع ما تشتهي نفسيهما منها ما خلا شجرة معرفة الخير والشر — ولما كانت نفسيهما وقتئذ ميالتين لحب الله والعمل بوصاياه أبى ابليس الا أن يخرجهما من هذا النعيم غيرة منه وحسداً على تلك المواهب المعطاة لهما من الله . فأطغى نفس امنا حواء كما هي اطغت نفس ابونا آدم على ارتكاب المعصية ولهذا السبب تلوثت نفساهما بأوزار الخطية بعد أن اكلا من الشجرة المنهى عنها حتى ترتب على ذلك حكم الله على نفسيهما بالطرد من الجنة الى مشاق ومتاعب حياة هذه الدنيا ومن ذلك الحين صارت الارواح الشريرة لابليس وجنوده تسطو على انفس ذرية

آدم الى هذا اليوم كما جاء عن ذلك

انجيل — من يفعل الخطية فهو من ابليس لان ابليس من البدء يخطىء (يو ٣ : ٨)

قرآن — إن الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً

ثم هكذا سرت عدوى ابليس في نفوس الامم الى ان توغلت في ميدان المعاصي والشرور وحادوا عن عبادة الله منحازين الى عبادة الاوثان والسجود الى التماثيل والاصنام حتى هددهم الله بعجائب قدرته بطوفان الماء ثم انذرهم بأوليائه وأنبيائه ورسله الى ان اهتدى من اهتدى وضل من ضل

ومما يدل على تلوث النفس من مبدأ خلقتها بأوزار الخطية وتوارثها بالتسلسل من عهد الخليقة حتى الآن هو ما نراه من مبدأ خلقة الجنين وهو في بطن امه وما يسببه لها من الصعوبات والاضطرابات وغير ذلك من المتاعب . ليس فقط بالنسبة لكثرة حركات الجنين وصدماته للجدر البطنية وما ينتج عنها من الاعراض المرضية فى دلائل الحمل بل ايضاً على ما يظهر غالبا من تكدر نفس الجنين لنفس امه حيث يجعلها تحت نير سلطة المشتهيات الغريبة التى تدعوها أن تكون مضطرة لا مختارة من الوصول اليها والحصول عليها مهما اختلف نوعها وهذا على ما يظهر أنه من توافق روح التكوين على تبادل الشهوة المشتركة بين نفس الجنين ونفس امه كما يعلم ذلك مما هو مشاع على السنة العامة حيث يقولون . اذا لم يؤت

للحامل مدة الوحم بما طلبته أو اشتهته نفسها ثم احدثت احتكاكا في أى موضع كان في جسدها . فقد يرتسم فيما يماثل ذلك الموضع من جسد الجنين ما يقرب الشبه بالصنف المطلوب أو الشيء المرغوب

وليس هذا من الغرابة بمكان لان ظواهر الوحم هذه قد توجد فى الحيوانات ايضاً كما جاء عن ذلك (بسفر التكوين ٣٠ : ٣٧) وأما ما يتعلق بالاضطرابات والصعوبات والعوارض وقت الوضع وبعده التي تدل على تلوث النفس من مبدأ خلقتها بأوزار الخطية فهذا يظهر مما يلوح على الاطفال من مظاهر الكبرياء والحسد والكره والمعصية ولا سيما الغيرة المعهود امرها عند الاطفال حتى انها كثيرا ما تؤدي بحياتهم الى الخطر فضلا عما يعتريهم من التكدرات لنفوسهم والعوارض الطارئة على عدم نظام حركاتهم كاهتزاز اطرافهم وتحويل ابصارهم وكزاز اسنانهم وظواهر الضحك الكاذب على وجوههم وتغيير ملامح هيئتهم كما يعني عن ذلك بالتشنجات العصبية أو بمرض القرين عند العامه حتي انه في الدور الاخير تضعف بنيتهم وتنحط قوتهم وتتبدل سحنتهم الى ابشع واشنع الصور التي تقشعر منها الابدان بعد ان كانوا من ابهى واجمل الفتيان . وقد يسببون لوالديهم بسبب فقدانهم حسرة مدى الزمان اذ لا يعلمون ما قُدر على الانسان من العلاقة والتبادل بين الانس والجان كما يؤخذ من معنى قوله عن الشيطان

قرآن — وشاركهم في الأموال والأولاد

أو لأسباب خفيّة وأحكام الاهية لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى وقد جاء عن ذلك

قرآن — نحن خلقناهم وشددنا إسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ومنه — على أن نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون

واذا تتبعنا حالة نفس الانسان من أول نشأته نراها مبدئيًا عارية من المزايا الحميدة ومحاسن الصفات وذلك لعدم كفايتها على العمل لسبب ضعف ما اعد وسخرلها من اعضاء الجسد . فضلا من عدم تدربها على التهذيب والتعليم . ولكن متي تواجد الطفل ونظمت تغذيته واعتدلت بنيته واشتدت قوته وأدرك بنفسه ما يحتاط به من البدع الكونية والنظامات الربانية فحينئذ تمرن النفس على العمل بأعضاء الجسد لاكتساب أنواع الحرف والصنائع أو أن تترقى مداركها لاكتساب أشرف العلوم وأسمى المعارف وذلك طبقاً لمساعدتها بمن يتولى أمر تربيتها وتهذيبها الى أن تبلغ رشدها وتقوى مداركها حتى تصير لها الحواس مدربة على التميز بين الخير والشر

وحيث أن المرجع للادراك والتميز بين الخير والشر عائداً على ما نسميه بالعقل فلم يكن الغرض بذلك سوى النفس حيث بحلولها على الجسد زمن اليقظة يتواجد ما يعنى به عن العقل كما يتواجد الشعور بأجهزة الحواس أيضًا فعلى ما تقدم لا يكون العقل حينئذ جوهراً مستقلا بنفسه بل انما هو مجموع قوى مدارك النفس ليس الا مع ما لها من الكمالات والفضائل والصفات الاكتسابية التى تختلف

بحسب اختلاف أدوار الحياة بمعنى ان قواها مثلا عند الطفل ليست كما عند بالغ الرشد أو من كان فى دور الكهولة حيث نرى قوى مظاهر النفس تأخذ فى الارتقاء تدريجياً طبقاً لتهذيبها ولحالة الوسط والمخالطة أيضاً وهذا بخلاف ما خص به الله تعالى للانبياء والرسل من المزايا وحسن الصفات وأنواع الكرامات والبيّنات والمعجزات ما لا يراعى فيه مخالطات جنسية أو وسائط مدنية أو أدوار زمنية كما يُرى ذلك من نبوات الانبياء الذين تنبأوا عن مجيء سيدنا يسوع المسيح (عليه السلام) ومن معرفة خفيات القلوب كما جاء في (١ صم ٩ : ١٩) و (دانيال ٢ : ٢٦) و (٢ ملوك ٥ : ٢٦) و (اع ٥ : ١) وغير ذلك من الأمثلة التى تؤيد بيان حقيقة تلك الأنفس الزكية التى خص بها المولى أشخاص دون آخرين لاظهار آياته وعجائبه كما انه توجد أيضاً أنبياء كذبة ينبغى الحذر من مدعياتهم لتلبس نفوسهم بأرواح مضلة أى ان الأرواح الشريرة ما زالت من البدء تضل الأنفس الانسانية سواء كان بالوسوسة أو بغيرها كى تبعدها من التقرب لله وتستميلها الى حزبها كما جاء عن ذلك

انجيل — ايها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم (يو ٤ : ١)

قرآن — قل أعوذ برب الناس ملك النـــاس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

بل وأغرب من ذلك أن تلك الأجسام البشرية قد تتلبسها أحياناً أرواح شيطانية كاذبة فتحل محل النفس على ذلك الجسد وسوف يظهر ذلك جلياً من سياق الكلام فى الباب الآتى عن الملائكة الاطهار والملائكة الاشرار

obeikandi.com

الباب الرابع

فى الملائكة

الملاك معناه رسول يستخدمه الله لاجراء مقاصده ولاعلان قوته وقد خلق الله الملائكة أعلى من الانسان فى الطبيعة والقوى واستخدمهم فى تنفيذ مقاصده وهم يسمون أرواحًا وملائكة ويوصفون بسموّ القوى واختلاف الدرجات.

وقد انقسموا بسبب وضعهم تحت ناموس الامتحان وسقوط جانب منهم الى قسمين أخيار وأشرار وأن الملائكة الاخيار تستعمل للارواح السماو بين الذين يستخدمهم الله لاجراء ارادته

المبحث الاول

فى الملائكة الاطهار

ان اعتقاد وجود الملائكة غير مضاد للعقل بل هو مؤيد بالدلائل العقلية . فان فلاسفة اليونان القدماء كفيثاغورس وسقراط وافلاطون وغيرهم اعتقدوا وجود طبقة أو طبقات من الخلائق متوسطة بين البشر والله واستدلوا على ذلك من المشابهة وبقياس التمثيل وقالوا كما ان فى هذا الكون طبقات كثيرة العدد من الكائنات نظير سلم ذات درجات تبتدىء من العدم الى الكائن غير المحدود وأن المسافة المحدودة النازلة من الانسان الى أدنى المخلوقات مشغولة بطبقات مختلفة من الخلائق كذلك المسافة الصاعدة من الانسان الى الله لا تكون خالية من الخلائق أي اذا ثبت وجود خلائق على رتب مختلفة فى هذه المسافة القصيرة بين أدنى المخلوقات والانسان فلا يقبل العقل ان القوة الخالقة تتخطأ المسافة غير المحدودة بين الانسان والله وتتركها بدون مخلوق

وان يكن هذا القول تخميني فقط الا أن شواهد الكتب المقدسة تثبت وجود الملائكة وانهم أرواح (أى غير هيوليين مدركين بالحواس) أعلى من الانسان ودون الله ولهم صفات وقوى

شخصية كالعقل والارادة والعواطف ونحوها . يفوقون البشر فى القوى العقلية والمعرفة وأما عملهم فهو السجود لله . واجراء ارادته تعالى . وخدمة المؤمنين وهم يقدرون أن يجروا أعمالا عظيمة فى العالم الطبيعى وخارجاً عنه حسب ارادة الله ويقدرون أن يعملوا أيضاً فى عقول البشر وفى طاقتهم أن يحركوها لعمل الخير بمقتضى نواميس طبيعتنا باستعمال وسائط مناسبة . وان كان الملائكة الاشرار يقدرون أن يجربوا الانسان للخطية فبالأولى أن الملائكة الأخيار يقدرون أن يستميلوه الى القداسة . ومن خدمتهم لبنى الله الارشاد والتقوية الداخلية والتعزية والحماية من الأعداء غير المنظورين والأخطار العظيمة المحدقة بهم على الدوام

وفى الكتب المقدسة الكثير من الشواهد التى تثبت صحة ما ذكرنا نكتفى منها بما يأتى : —

توراة — يعسكر ملاك الرب حول كل خائفيه وينجيهم (مز ٣٤:٧)
ومنه — لانه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك (مز ٩١ : ١١)
ومنه — باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة (مز ١٠٣ : ٢٠)
انجيل — انظروا واحذروا أن تحتقروا أحد هؤلاء الصغار فانى أقول لكم أن ملائكتهم فى السموات كل حين يعاينون وجه أبى الذى فى السموات (متى ١٨ : ١٠)

ومنه — ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم (اع ٥ : ١٩)

ومنه — أليس جميعهم أرواحًا خادمة مرسلة للخدمة لاجل العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١ : ١٤)

قرآن — أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون

ومنه — إن كل نفس لما عليها حافظ

ومنه — وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون

obeikandl.com

المبحث الثاني

فى الملائكة الاشرار

إن بعض الملائكة الاطهار لم يحفظوا رياستهم الاولى وعصوا الله وتكبروا فسقطوا من حالة القداسة واصبحوا اعداء اللهوالانسان ومضادين لكل خير مجتهدين في امتداد الشر وهذه الفئة الساقطة لها رئيس لقب بالشيطان وابليس ومعناه خصم أو مجرب او مشتكي أما عملهم فهو الشكاية على أبناء الله والحض على اسقاطهم . وهم أقوياء جداً حتى انهم يقدرون أن يؤثروا في اجساد البشر وعقولهم غير أن قوتهم محدودة من الله لا يقدرون أن يغتصبوا احداً بل كل من حاول خلع نيرهم وردعهم عنه متخذ كلمة الله سلاحاً ينجح

ومما يؤيد صحة وجود الملائكة الاشرار وسطوتهم على البشر ماجاء بكتب الله المقدسة التي منها

توراة — فقال الرب الاله ما هذا الذي فعلت فقالت المرأة الحية غرتنى فاكلت (تك ٣ : ١٣)

ومنه — فقال الرب للشيطان من اين جئت . فاجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الارض ومن التمشي فيها (أيوب ١ : ٧)

ومنه — فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح

ردي، من باطن قدمه الى هامته (ايوب ٢ : ٧)

ومنه — فتشوا لي على أمرأة صاحبة جان فاذهب اليها واسألها (اصم ٢٨ : ٧)

ومنه — لاتلتفتوا الى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم (لا ١٩ : ٣١)

ومنه — ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانًا او تابعة ولا من يستشير الموتى (تث ١٨ : ١١)

انجيل — كثيرون سيقولون في ذلك اليوم يارب اليس باسمك تنبأنا وبأسمك اخرجنا شياطين (متى ٧ : ٢٢)

ومنه — فالشياطين طلبوا اليه (عن السيد المسيح) قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير (متى٨:٣١)

ومنه — وكان يخرج شيطانا وكان ذلك أخرس فلما خرج الشيطان تكلم الاخرس (لو ١١ : ١٤)

ومنه — ها هي ابنة ابراهيم ربطها الشيطان ثمانية عشرة سنة (لو ١٣ : ١٦)

ومنه — لان كثيرين من الذين بهم ارواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم (اع ٨ : ٧)

ومنه — لان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور (١ كو ٢ : ١٤)

ومنه — اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول

ملتمساً من يبتلعه هو (١ بطرس ٥ : ٨)

ومنه — فاخضعوا لله قاوموا ابليس فيهرب منكم (يع ٤ : ٧)

ومنه — البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد ابليس (اف ٦ : ١١)

قرآن — ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً

ومنه — ومن يعسر عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

ومنه — واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون

ومنه — يأيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم .

ومنه — إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين

ومنه — إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

ومنه — فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ولولا فضل الله عليكم و رحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً

ومنه — إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون

ومنه — وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين

ومنه — وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون

وغير ذلك توجد شواهد ثابتة دينية أيضاً تؤيد وجود الملائكة الأشرار والملائكة الأطهار اكتفينا بما قدمناه لنعلم أنهما السببان الرئيسيان اللذان يهديان النفس البشرية الناطقة اما الى طريق الخلاص حيث الجنة وفردوس النعيم واما الى طريق القصاص حيث جهنم والعذاب الاليم .

فبناء على ماتقدم علم لنا أن من خصائص الشيطان الملازم لكل شخص مخلوق والمطلع على مقاصد النفس الانسانية ونواياها من شأنه أن يضلها عن طريق الحق فضلا من أنه يستميلها دائماً الى مقاصده الجهنمية كما يحسن لها المعصية وعبادة الشهوات وغير ذلك مما يؤدي للكفر والضلال كالشرك بالله والاضرار بالناس

ولكن من اين هذا لذاك الشرير والملاك الطاهر واقفاً لذاك

القرين بالمرصاد ليمنع النفس من الوقوع بمصيدته كما انه كثيراً ما يردعها عن غيها وينذرها بسوء عقبى مصيرها لا بل يرهبها من غضب الله المجازى بصرامة لكل من يعصاه أو يخالف وصاياه مهدياً اياها بأداء الواجب نحو خالقها والقيام بكل عمل صالح وفريضة دينية كالصوم والصلاة والزكاة والتقوى والعبادة والمعروف والاقرار بوحدانيته وبكتبه وآياته التي تستنجد بها النفس للغلبة على خصمها العنيد وعدوها اللدود كما هكذا يصدها أيضاً عن المعاصي والمحرمات ويحضها للرجوع الى التوبة والندامة وكثيراً ما يكون تعزيتها الوحيدة عند الشدة وسلوتها عند المصائب والاحزان

فالجسد والحالة هذه أشبه بسفينة تدير حركتها النفس كما يستطيع أن يدير حركتها أيضاً أي عامل آخر بقوى ارادته واختياره كما لو كانت النفس سواء بسواء . وانما هذا القياس يختلف هنا باختلاف اميال تلك القوى المنسوب لها ذلك الفعل أي أن توجيه السفينة أو بالحرى حركة ذلك الجسد الى أي جهة كانت يكون تبعاً لمقاصد تلك القوى التي تؤثر على قوى ارادة النفس وتستميلها الى مقاصدها وغاياتها بمعنى أن من يريد التوجه بنفسه واختياره الى الكنيسة او الى الجامع مثلا لتأدية فرائض الصلاة والعبادة لله تعالى ليس كمن يرى نفسه مدفوعاً الى الحانات ومحال الفسق والضلال

وعلى هذا القياس نرى أن الجسد هو مطية النفس لتنفيذ مقاصدها وغاياتها والنفس مطية لكل قوى اخرى تتغلب عليها

لتنفيذ مقاصدها أيضاً اما للعمل الصالح لترضي الخالق واما لمقاصد جهنمية لتغضب الخلق والخالق وليس ذلك فقط بل يتفق احياناً أن تلك القوى قد تحل محل النفس على ذلك الجسد وتنوب عنها في جميع حركاته وسكناته كما يدلنا على ذلك عربدة السكارى وأحوال المتوهين ونوب المصروعين وغير ذلك مما يذرى بشرف النفس وذلها متى سُلطت تلك المؤثرات الروحانية وتغلبت عليها

فبناء على ما تقدم من وجود التضاد والخلاف بين المقاصد والغايات نعلم أن ملاك الخير وملاك الشر هما أقرب الارواح الروحانية للنفس الانسانية بل هما القوتان المتضادتان اللتان تدعوان النفس الى التردد في معظم شؤونها حيث يستميلانها الى مقاصدهما بمعنى ان كان خيراً أو عملا صالحاً فلملاك الخير التابع للطغمة الملائكية كي يقربها لطاعة الله وعبادته والعمل بوصاياه . وان كان شراً فلقرينها الذي يوقعها في شر اعمالها لانه من الطغمة الشيطانية التابعة لرئيسها ابليس الذي من البدء يخطي كما أخرج أبونا آدم وأمنا حواء من الجنة وأوجب غضب الله على نفسيهما وكما وسوس لقابيين أن يقتل أخاه هابيل وكما أثار الفتن بين الامم وأطغى معظم الانفس البشرية كي ترتد عن عبادة الله وتلتجيء الى التماثيل والاصنام وغير ذلك مما يطول شرحه ولا يسعنا ذكره

واذا تأملنا في احوال البشر نرى أن الرذيلة ما زالت تسود على الفضيلة والميل الى الشر اكثر مما هو لعمل الخير الا ما ندر عند البعض

من المتدينين وممن دبت في قلوبهم الشفقة والرحمة الذين يعدون بالقليل دون الكثير من أولئك الذين تسلط عليهم ابليس فاسرهم وجعلهم عبيداً له لان الذي يفعل الخطية هو عبد لابليس

قرآن — إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون

فهذه هي الطواريء التي تعمل في الانسان مدى حياته والمؤثرات التي تؤثر دائماً على فكره الى أن يميل بنفسه متطوعاً اما لمقاصد الشيطان وتضليلاته واما لمقاصد الملاك الطاهر وارشاداته وعلى هذا يترتب أن تكون هذه الأنفس مدفوعة بقوتين متضادتين يهديانها الى اختلاف تلك الاميال والاعمال المتناقضة

ومما يؤيد لنا صحة ما ذكر من وجود الطواريء الروحانية على الأنفس الانسانية مانراه ملموساً من الامثلة الاتيه : —

— أمثلة عن الطواريء الروحانية —

اذا سألنا أحد الشعراء . كيف توصل الى ذلك الشعراء أو تلك القصيدة يجيبنا بقوله هتف على بالي أو خطر بفكري أو جاء بنفسي أو جادت به قريحتي. فالمؤثر على ارادة نفسه في هذه الحالة والمحرض لها على هذا العمل ليس بجوهر مادي لان المادة والعقل جوهران ممتازان وأن الواحد منهما يؤثر بالآخر ونعلم من أنفسنا أن عقولنا تؤثر في

أجسادنا ولذلك يكون القول أن الارواح تؤثر في العالم المادي كما أنها تؤثر في عقول البشر كما يؤثر انسان في آخر

واذا ما تأملنا لذلك الشاعر بينما هو منفرداً نراه والقلم بيده ساهياً زاهلاً مفكراً لا بل مسترجياً من الفيض المطلق من يقرع ذاكرته أو يلهم فكرته بما لم يسبق لمعلوميته أو يعيد الى نفسه معرفة بعض المعاني أو القوافي التي متى كانت طبق ارادته ورغبة نفسه تم له ما أراد . فان كان ذلك كذلك أليس هذا من تأثير الطواريء الروحانية على الأنفس الانسانية ؟

مثال آخر — أنظر لنفسك عند ما تريد أن تتذكر شيئاً تائهاً عنك . كيف تمكث صامتاً مفكراً لا بل منتظراً أيضاً من الفيض المطلق من يعيد لنفسك معرفة ذلك الشيء أو لا يعيده أحياناً ويبقى نسياً منسياً . أليس ذلك أيضاً مما يبين تأثير الطواريء الروحانية على الأنفس الانسانية ؟

مثال آخر . . اذا نظرنا لبعض الاشخاص المصابون بأحوال الانتقال النومي كيف أنهم يتوجهون لمحال أشغالهم وهم نيام ويقضون البعض منها ثم يعودون الى فراشهم وعند يقظتهم لا يدرون شيئاً مما فعلوا . فأليس هذا ما يثبت تأثير الطواريء الروحانية على الأنفس الانسانية . ولتفكهه نذكر للقراء بعض حوادث من هذا القبيل أيدتها بعض الجرائد والمجلات العلمية : —

(١) أن خادمة أتت الى سيدتها قبل الصباح وطلبت منها خيطاً

لترفأ ثوبها فأعطاها بعض من حضر بكرة فارغة من الخيط فأبت أخذها منه وأشارت الى خرقين في ثوبها وقالت أنها تريد رفأهما بخيط خمري فأعطيت خيطاً أسود فرفضته وتكلم معها أحدهم فلم تعرف من هو بل ظنته سيدتها . ثم أيقظوها ولكن بصعوبة شديدة وحينما استيقظت ورأت علبة الخياطة أمامها أخذتها الحيرة وظهر أنها لم تتذكر شيئاً من كل ما فعلته . .

(٢) أن قسيساً كان يقوم ليلا و يشعل السراج و يكتب موعظة و ينقحها ثم يعود الى فراشه و يفعل كل ذلك وهو غير مستيقظ وقد حدث أنه كان مرة مهتما بأنشاء موعظة ولم يفتح الله عليه بشيء فذكر ذلك لامرأته يوم السبت مساء ثم قام في أثناء الليل وتلا عليها موعظة بليغة وهو نائم وعاد الى فراشه وفي الصباح ذكرت له امرأته موضوع تلك الموعظة وأقسامها ولم تخبره شيئاً مما كان من أمرها فسر بالموضوع و بأقسامه وتلا الموعظة في الكنيسة كما تلاها وهو نائم . .

(٣) قيل عن صاحب مجلة الهلال أنه يعرف صديقاً يثق بصدق روايته وثوقاً تاماً كان له شقيق يشتغل بالتجارة في أميركا لم يكن يسمع عنه الا ما يسره من حيث صحته وأشغاله — اتفق لذلك الصديق ان سافر للاسكندرية لترويح النفس من عناء الاشغال وفيما هو جالس مع بعض الرفاق شعر بانقباض شديد حتى أنه لم يتمالك عن البكاء وهو لا يرى موجباً لذلك و رفاقه يحومون حوله يخففون عنه وهو لا يزداد الا بكاء حتى تعب — و بعد بضعة أسابيع جاءه

عني أخيه ووجد بعد البحث في تاريخ الوفاة أنه توفى في اليوم الذي أصيب هو فيه بذلك الانقباض —

(٤) أعرف سيدة معرفة شخصية حدث أنها تكدرت لسبب من الاسباب في يوم ختان أولادها فأخذت ابنتها الصغيرة ودخلت غرفة من الغرف وأغلقت على نفسها ونامت وكان ذلك قرب الساعة العاشرة صباحًا وقرب الساعة الثانية بعد الظهر استيقظت الابنة وبدأت البكاء والعويل فطرق أهل البيت الباب طرقًا عنيفًا ولكن بلا جدوى وبعد التعب الشديد فتحوا الباب وجاهدوا في ايقاظ هذه السيدة ولكنها لم تتنبه ولو لم تكن حركات التنفس متممة وظائفها لظنوا أنها ماتت . وبعد أكثر من ساعة قامت منتفضة وجلست منذعرة ولما سئلت عن السبب قالت : —

نمت فرأيت امرأة جميلة مزينة بأفخر الحلى وأثمن الجواهر وقفت بجواري وقالت لي بلطف ما لك حزينة مكتئبة تعالى معي وأنا أزيل عنك الحزن فتبعتها وعندها رأيت الارض قد فتحت ونزلت هي أمامي ونزلت أنا خلفها فرأيت منزلا جميلا تحيط به حديقة غناء — دخلنا معًا وكنت فرحة بهذه المناظر التي لم أر مثلها في حياتي وبعد أن أرتني جميع غرف القصر غرفة غرفة قالت لي أنها مستعدة أن تعطيني هذا القصر بما فيه ان أنا رضيت أن أنتظر معها. وهنا تذكرت أولادي فقلت لها لا أستطيع ترك أولادي فقالت لي دعك من الاولاد وغيرهم وعيشي معي هنيئة مسرورة فخفت وصممت على أن

أرجع فمسكت بتلابيبي وكنت أجاهد على أن أتخلص منها وهي تجاهد معي حتى لا أتركها وبعد وقت سحبت نفسي منها بشدة وخرجت مسرعة فقمت مستيقظة كما تروني

(٥) أن فتاة في نيويورك لم يبق من أسرتها سوى أخ كانت تحبه محبة شديدة ولا تطيق فراقه ـ قضت الاحوال مرة أن سافر هذا الاخ الى (نيواورلينس) وترك شقيقته عند بعض الاصدقاء وكانوا يحاولون تسليتها على فراق أخيها وهي لا تفتر عن ذكره والتشوق اليه . وفي مساء اليوم الثالث من غيابه جلست الفتاة بين أعضاء تلك الاسرة وقد تجاذبوا أطراف الحديث كالمعتاد واذا بها قد انتفضت بغتة وسدت أذنيها بيديها وصاحت قائلة . . آه — ما أقوى هـذا الطلق الناري ويلاه قد صرع أخي هو يناديني — لبيك يا أخي هأنذا قادمة اليك ـ ثم خطت خطوتين في الغرفة وسقطت مغمى عليها — فنسب أهل البيت ذلك الى شدة تعقلها بأخيها وأنه عارض عصبي لا يلبث أن يزول ولكنهم ما أصبحوا حتى جاءتهم رسالة برقية تنعى اليهم ذلك الاخ مقتولا برصاصة اخترقت صدره في الوقت الذي رأته شقيقته أو سمعت صوته

وهكذا توجد شواهد كثيرة تدلنا على تأثير الطوارىء الروحانية على الأنفس الانسانية نكتفي منها بما ذكر عالمين ان هذه الطوارىء ليست من قبيل أضغاث الاحلام أو الهواجس والاوهام أو غير ذلك مما يضعه أعداء الدين من العراقيل لبعد الخلق عن معرفة الخالق

وعالم الروحانية وتضليل الهيئة البشرية

وأليس من العار على الانسان أن لا يهتم بالبحث عن معرفة نفسه كي يؤمن بربه قبل ان تفاجئه ساعة الندم ويقع في هوة الفناء والعدم؟ ثم ماذا يضر الانسان لو نظر بنور بصيرته وثاقب فكرته الى ما دونته كتب الله المنزلة من الآيات والبينات . قبل أن يدرج بكفنه ويحل برمسه. وهل من المحتم يا ترى أن لا نتبع الا اقوال المفسدين ومعاني المضلين ونترك اقوال رب العالمين والانبياء والمرسلين ؟

فدعنا من تقلبات الآراء والافكار وما غرسته الشياطين من بذور الضلال في عقول الكفار الذين يقولون على ان الانسان لم يكن سوى من والديه ليأكل ويشرب وغدا يموت وأن لافائدة من الصوم والصلاة والسجود والاعتراف وطلب الغفران وغير ذلك مما يتحمل به الانسان من الخوف والحذر من وجود جهنم حيث يكون في اليوم الاخر العذاب بنار السعير اذ ليس لنا بعد الموت مخ يضطرب أو قلب ينزعج أو بدن يرتعش أو لحم ينكمش من لذعة النيران أو شعور واحساس حتى نخاف عذاب الشيطان . وما هذه الا اضغاث احلام يرويها لنا من لهم مآرب ذاتية وغايات شخصية فضلا من اننا لم نر ممن سبقنا الى هاتيك الديار بعد فناء الاعمار ما يدلنا على انهم احياء عند ربهم يرزقون بل بعكس ذلك حيث لم يكن للانسان بعد الموت سوى الكفن ثم ينطوي ذكره كما ينطوي الزمن . .

نعم هذا هو مذهب الماديين والطبيعين ومن لا يتدينون بدين،

وغيرهم ممن لا يعتقدون الا بما توحي اليهم الشياطين غير عالمين أن من عاش بدنياه مستقلا بنفسه قبل حتفه برمسه أو كان ممن اغوته الشياطين وشغلته بالدنيا عن الدين لا بد وأن تفاجئهم ساعة من الساعات أو لحظة من اللحظات فيها يعضون على صوابع الندم عند ما يرون انفسهم متطوحين الى مغاور الظلمة سواء كان بقضاء رباني أو بايعاز شيطاني

هذا مايطرؤ على افكار الكثيرين من الامم وانما تجاهلهم عن معرفة الاسباب الدالة على الحقيقة من عدمها ما هو الا لعدم ايمانهم بالله وعدم اعتقادهم بالطواريء الروحانية وما لها من التأثير الواضح على الأنفس الانسانية الناطقة التي تدير حركة أعضاء الجسد كما قدمنا أيضاً من ان الجسد هو مطية النفس كما أن النفس مطية لكل نفس أخرى بشرية عند ما تستميلها كي تغضبها أو ترضيها ثم هكذا النفس أيضاً مطية للقرين عند ما يغويها ويطغيها — أو مطية للملاك الطاهر عندما ينهيها ويهديها وهكذا كل قوى تعلو على قوى أخرى الى أن تدعونا الحقيقة الى الاعتراف من وجود قوى تشمل بقواها جميع هذه القوى أعني بها قوة الله سبحانه وتعالى المالك لزمام الملك والقدرة والحياة

وليس هذا بحد الغرابة أكثر مما سيأتي به البيان عما لله تعالى من الصنع العجيب في الانسان كما سنرى عن الحقائق الربانية بوجه تام عند ما نذكر أيضاً كيف يبقى تارة في يقظة وأخرى في منام

النوم و اليقظة

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها . فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . (قرآن كريم)

من أعجب العجب أن نرى الجاهل يعد نفسة عالما والعالم لا يغلو بنفسه لعلمه أنه لم يؤت من العلم الا قليلا . أى لايفتخر العالم بعلمه كما يفتخر الجاهل بجهله ولهذا نرى ان البعض يميلون الى كشف الحقائق فرحين مبتهجين لكل فكر ثاقب ورأى صائب حتى بذلك يزدادون علماً وفخراً وهذا بخلاف المستبدين بآرائهم المتمسكين بأفكارهم بالنسبة لتعصبهم وانقيادهم وراء المضل الاكبر الذي يقلب لهم الحقائق لانه ما من نظرية قامت ضد كتب الدين الا وكان نصيبها الفشل والاندحار ولكن بما انه يوجد حتى الآن كثيرون ممن يناقضون الحقيقة بغير علم أو دليل او برهان صار من المحتم ان نوفيهم بحقيقة البيان عن النوم واليقظة ليعلم سوء تفاهم من تقدمنا الى هذه اللحظة

لقد جاء عن التعليمات الطبية وبعض المجلات والكتب العلمية عن النوم ما يأتي :ـ

(١) علماء اللغة عرفت النوم بأنه غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالاشياء

وبما انه لا يوجد دليل يثبت وجود هذه الغشية ولا طريق

يوصلنا الى بيان حالتها و ينبوع مادتها فضلا عن ذلك فان عضو القلب محاط بغلاف محكم من جميع الجهات وأنه مستديم الحركه لمرور الدم بأوعيته ليلا ونهارا بدون انقطاع فاذاً لا سبيل من وصول أو هجوم تلك الغشية اليه. كما وان هذا العضو اللحمي لم يكن له بطبيعته المادية سلطة مريده حتى يقال أنه ينقطع عن معرفة الاشياء فيعتبر اذاً هذا التعريف باطل ولا يعول عليه

(٢) جاء عن النوم أنه حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقي البخارات في الدماغ

وبما انه لم يكن الدماغ مستودعا لحصر الأبخرة فى جوفه من الورشة البطنية للجسد. كما لا يمكن اعتباره معملا كيماويا تتسلطن في جوفه حركة التحليل على التركيب حتي يتولد عن ذلك ابخرة تتخلل جوهره أو تضغط على مادته . هذا ولو سلمنا جدلا بأن تلك الأبخرة تكونت من عناصر الغذاء أو مواد اخرى ألا يقال من أن تأثيرها على الدماغ يوجب زيادة حاسيته وتنبيهه لا تخديره ؟ ثم لو أيقظنا ذلك الانسان بغتة من نومه كيف يسرع زوال تلك الابخرة و ينطفي تأثيرها حالا وكأنها لم تكن ؟ أو اين فضلاتها منحصرة يا ترى ؟ ومن جهة اخرى حيث يقال عن النوم انه حالة طبيعية تتعطل معها القوى وتلك القوى مجهولة ايضا فيعتبر هذا التعليل باطل

(٣) جاء في الحد الفسيولوجي ان النوم ينتج عن تعطيل قوى

المراكز العصبية الرفيعة تعطلا دوريا واختلفوا بسببه

ومن حيث ان السبب الموجب لتعطيل قوى تلك المراكز العصبية مجهولا فيكون هذا التعليل عن النوم باطلا من جهة ، ومن الجهة الاخرى هل ينبغي ان نعتبر لتلك المراكز العصبية الرفيعة قوى خاصة بها ؟ ولو فرضنا ذلك فمن أين يتأتي وجود تلك القوى ؟ أمن طبيعة خلقية في مادتها؟ حاشا اذ ان تلك المراكز العصبية تنمو بالتغذية فضلا من انها عرضة للطوارىء العرضيه والمصائب المرضية ايضا وعلى ذلك يعتبر وجود القوى فيها باطلا . ومن جهة ثالثة لو اعتبرنا تعطل تلك القوى دوريا لقلنا ان جميع الناس يلزم ان تنام في دور واحد وهذا محال ايضا . وآخر ما يقال ألا يتأتى من تعطيل قوى المراكز العصبية ضعف تماسك انسجة الاصلاع المستطرفة بها بحيث يترتب على ذلك وجوب ارتشاحات ربما تتحول الى خراجات قد ينتج عنها اعراض خطرة ؟ فعلى ذلك نرى من كل وجه كان ان هذا التعليل عن النوم لا يعول عليه . .

(٤) جاء ايضًا عن النوم انه ينتج عن امتلاء الدماغ بالدم (اى احتقانه) فيضغط الدم الدماغ ويعطل عمله . .

وحيث ان توارد الدم الى الدماغ قد ينتج عن جملة اسباب يُشترط في وجودها سببًا للنوم وذلك كالتهابات اغشية الدماغ وامراض القلب . وانواع الحميات ونوب الامساك وغير ذلك مما يعيق سير كتلة الدم في مجاريها بحيث يترتب عن هذه جميعها هيجان الاشخاص

المصابون بها فضلا من تململهم وضجرهم وارقهم لا هدوهم وراحتهم ونومهم. ثم لو سلمنا بامتلاء الدماغ بالدم وكان احتقانه ايضا سبباً للنوم فكيف يزول ذلك الاحتقان بغتة بمجرد يقظة النائم مع ان ذلك الاحتقان يستلزم لزواله جملة وسائط علاجية وانه قد يصطحب احيانا بأعراض خطره كثيرا ما تهدد حياة المصابون به؟ ثم ماهو الغرض أيضاً من تعطيل عمل الدماغ؟ وما هو العمل الخاص به يا ترى؟ وهل يترتب على وجود كتلة المخ اللبية العصبية كلا من العقل والادراك والشعور بأجهزة الحواس ؟ وإن كان ذلك كذلك فكأن الحساب والعقاب لايقعان الا على هذا المخ القابل للتلاشي والفساد . ولكن من حيث سبق قدمنا ما يكفي من الشواهد على بطلان ذلك الاعتقاد نكتفي بذلك ونعود من حيث نقول ان هذا التعليل عن النوم ايضاباطل ولا يعول عليه

(٥) قد جاء ايضاً عن البعض أن النوم ينتج عن قلة توارد الدم الى الدماغ (أي أن السبب انيميا في الدماغ) كما يؤكد ذلك النعاس عقب استفراغ الدم سواء كان عن نزف أو عن العمليات الجراحية

وان يكن ذلك التعليل مضاداً لما قبلة الا اننا نقول . اذا كانت الانيميا نتيجة قلة توارد الدم الى الدماغ لسبب مجهول فحينئذ يعد هذا التعليل عن النوم لاغيا . وان كان عن سابقة امراض تستدعى وجود الانيميا فهذا التعليل يعد ايضاً باطلا . وفضلا عن هذا وذاك

ليس من المقرر علميا او عقليا حدوث أنيميا وقتية يسرع زوالها زوالا برقيا بمجرد سرعة اليقظة مثلا و بدون ان يتخلف عنها عوارض يعلم منها سبب وجودها والى غير ذلك نقول أيضا ليس وجود الانيميا شرطا ضروريا لايجاد النوم لاننا نرى بالاجمال عموم الاشخاص ينامون نوما هادئاً متمتعين بقواهم الصحية وليس من دليل على وجود اعراض الانيميا لا قبل النوم ولا بعده ايضا . وعلاوة على ما تقدم جميعه فان دورة الدم العامة في الجسد آخذة مجراها الطبيعي ليلا ونهارا بانتظام في الدماغ وفي غير الدماغ ايضا . فعلى ذلك يكون وجود الانيميا ضرباً من المحال كما وأن ذلك التعليل عن النوم يعد أيضا باطلا ولا يعول عليه . .

(٦) قد جاء عن آخرين ان النوم يحصل بسبب قلة اوكسجين الهواء بجوهر المخ . على ان هذا التعريف يبعد عن حد التصور لان الهواء الداخل الى الصدر بحركة الشهيق قد يؤثر اوكسجينه على المواد الكربونية لسائل الدم حين وصوله لباطن الحويصلات الهوائية للرئتين وعندها يتحد هذا الاوكسجين بكربون الدم بحيث يتكون عن ذلك حمض الكربونيك وهو الذي يخرج بحركة الزفير على هيئة بخار يكون أكثر وضوحا في فصل الشتاء . فان كان ذلك كذلك فكيف يتأتى وجود هذا الاوكسجين بجوهر المخ بعد هذا التفاعل ؟ ومن جهة اخرى لو سلمنا بأن هذا الاوكسجين نفذ من مسام الجدر الباطنة للحويصلات الهوائية للرئتين اثناء حركة الشهيق . أليس من

المحتم مروره مع سائل الدم الى عموم اطراف البدن ؟ فعجبا ان يقال عن ظاهرة النوم أنها نتيجة قلة ورود الاوكسجين الى جوهر المخ دون باقي اعضاء الجسد . او لما لا نقول عن هذا الاوكسجين أنه يندفع عن جوهر المخ مع تيار دورة الدم المتواصلة السير ليلا ونهارا بدون انقطاع . والا هل من الجائز ان يقال عن اليقظة أنها نتيجة كثرة ورود هذا الاوكسجين الي جوهر المخ ؟ وهذا ايضا باطل

(٧) جاء عن النوم أنه عبارة عن استراحة المخ واجهزة الحواس وأعضاء الحركة عن العمل

فهذا التعريف وان يكن اجماليا الا انه عار من الحقيقة ولذلك وجب ان نوافي القراء بخلاصه الافكار التي يستدلون منها عن حالة النوم واليقظة كما عن معرفة الموت من الحياة وغير ذلك مما لدلائل حقيقة البيان في وجود الخالق وكيان الانسان

خلاصة الافكار

المخ كما يقول الاطباء عبارة عن كتلة لبية عصبية يمتد منها جملة فروع وفريعات عصبية متوزعه بعموم اعضاء الجسد الظاهره والباطنه كما قد يتكون عنها شبكة رفيعة تغطي سطح الجلد ايضا وهذه جميعها مع ما قبلها تتصل بجوهر المخ بدليل انه متى وقع التأثير على أي جزء من اجزاء الجسد يصل التنبيه الى المخ ليدرك نوع ذلك المؤثر . . وان يكن هذا التعليل قريبا من العقل الا أنه يبعد عن حقيقة الحقيقة الأسباب الاتية : —

(ا) لا ينبغي اعتبار هذا المخ مدركا للمؤثرات بطبيعته المادية اذ انه جوهر لبي عصبي أي ليس بعقل ولا ادراك حتى أنه يدرك ذلك المؤثر

(ب) ان المخ لم يخرج عن كونه عضوا من بقية الاعضاء الجسدية لقبوله مثلها الى النمو والتغذية فضلا من ان تسطو عليه كما تسطو عليها الطوارىء العرضية والآفات المرضية . وعلى ذلك البيان لا ينبغي أن يطلق معنى احتقان في المخ او التهاب اغشية الدماغ على معنى احتقان في العقل او التهاب في اغشية الادراك ونحو ذلك . والا ماذا نقول عن تأخير عودة الشخص النائم الى يقظته بعد مناداته وتحريكه عندما يكون مستغرقا بنومه ؟ او كيف ان ذلك الشخص النائم لا يتنبه من الصوت ولا يشعر بالحركة ايضا؟ فان كان ذلك كذلك فأين المخ

واتصالاته العصبية؟ وأين الشعور بأجهزة حواسه وأليافه العصبية أيضاً؟ ثم ما هو السبب لعدم يقظته يا ترى ؟ أهل حصل للمخ تغير في طبيعته المادية حتى منع عن اداء وظيفته العاديه ؟ أم هل تكدرت وظائف اجهزة حواسه أو تغيرت أوضاع الياف عصبيته؟ والا لما العين لا تنظر والاذن لا تسمع والجلد لا يحس وهكذ بقية اجهزة الحواس حالة كونها سليمه من الافات والامراض . .

ثم ماذا تقول عند ما ترى الشخص عائدا الى يقظته تارة هادئا وأخرى مضطربا فضلا من انه يقول أنا كنت في مدينة كذا أو تقابلت مع كذا وأكلت أو شربت كذا أو كاد يفترسني سبع أو يبطش بي ضبع أو غير ذلك من أنواع المنامات واختلاف المرئيات. أيقال والحالة هذه ان جوهر المخ خرج من قبوة الجمجمة وهو الذي تراءت له تلك المرئيات المار ذكرها . .

عذراً ايها القاري، لأني اوصلتك الى نقطة الشك والارتياب وجعلتك في حيرة من رد الجواب وما ذلك الا لأسهل عليك معرفة الحقيقة واني سأبذل لك النصح والنصيحة بما وصلت اليه معرفتي معما دلت عليه كتب الله الصحيحة لكي ننجو من العقاب ونهتدي الى معرفة الصواب فنقول : —

لقد بينا فيما سبق عن القلب ان الباري تعالي خصه بوجود روح منه لدوام حركته ونظام وظيفته المترتب عليها نمو وحياة الجسد . ثم بينا أيضا ان حياة الجسد لا تقوم الا بمادة الغذاء التي هي من خصائص

طلب النفس ومشتهياتها عند حلولها على مركز ادارتها أى المخ زمن اليقظة . فعلى ما توضح نرى انه ينبغي لوجوب وجود الانسان في هذا الوجود من منظم لكيانه ومساعد لبنيانه

أما المنظم لكيان الجسد فهذا من خصائص فعل الروح ولا عجب من ان نقول انها رمزاً لقدرة الخالق على تكوين الكائنات كما قامت هي أيضا بنظام تكوين جسد الانسان كما قدمنا عن ذلك فيما سبق

وأما المساعد لبنيان الجسد فهذا من خصائص فعل النفس حين حلولها على مركز ادارتها الذي هو المخ ومن اجل اهميته قد اوجده البارى تعالى من داخل قبوة عظيمة أي الجمجمه لوقايته (كالقلب) من المؤثرات والصدمات الخارجية أيضا

فخرجنا من ذلك البيان على ان المخ لم يكن لمادته العصبية أدنى تأثير او سلطة علي أى عضو كان من اعضاء الجسد ولا على اي جهاز كان من اجهزة الحواس كما هو مشاهد من حالة النوم العادي وذلك لعدم حلول النفس على مركز ادارتها كما ذكرنا بخلاف ما اذا عادت من صحاري الاحلام الي مركز ادارتها فحينئذ تظهر مظاهر قوى النفس أي وجود كلا من العقل والادراك والشعور بأجهزة الحواس حيث العين تنظر والاذن تسمع والجلد يحس وهكذا بقية الحواس مع وجود حركة الاعضاء لجلب ما هو ضروري لبنيان ذلك الجسد فضلا عن مراعاة احواله الصحية من مأكل ومشرب وملبس

وسكنى وغيرذلك مماهو من مستلزمات النفس لحياة الجسد كما قدمنا..

ويؤخذ مما سبق ان حلول النفس على البدن دليل اليقظة وعدم حلولها دليل النوم وأن حلول الروح دليل الحياة وعدم حلولها على القلب دليل الموت ومن ذلك البيان نستدل على معرفة أسباب الوفيات الفجائية المجهول سببها طبيا حتى الآن وهو مايعنى به عن السكتة المخية والسكتة القلبية المنسوب أمرها لعدم تأثير الروح على حركة القلب كما أن السكتة المخية ينسب أمرها أيضاً لعدم حلول النفس على الجسد حينما تكون مختلطة بما يماثلها شكلا خياليا بوادي الاحلام حيث قد يتفق أثناء وجود تلك النفس على الصورة الخياليه للذات الانسانية أن يصدر الامر الالهي أحيانا بالقبض عليها حتى لاتعود تحل ثانيا على الجسد الذي يبقى عرضة للتلاشي والفساد بل الى الفناء والعدم

وعلى ماتقدم يجب أن نترك مايقال من أن العقل بالمخ والاحساس بالاعصاب والشعور بأجهزة الحواس اذ هذه جميعها بدون وجود النفس لاوظيفة لها كما هو مشاهد عند النوم أيضاً. بل غاية مايقال انها آلات أعدها الباري تعالى لكمال التكوين ونظام مظاهر النفس في عالم الوجود حيث نراها تدرك لأى مؤثر كان يقع على أى عضو من أعضاء الجسد. وهذا أيضاً بخلاف مالو حلت روح أخرى على ذلك الجسد كما عند النوم الصوري أي مايسمونه النوم المغناطيسي حيث تكون النفس معما سخرلها من أجهزة الحواس وأعضاء الحركة أيضاً تحت سلطة هذه الروح التي حلت على الجسد بدلا عنها

وحيث وصل بنا المقام الى هذا الحد صار من السهل علينا حينئذ أن ندرك الغرض من الطوارىء الروحانية على الأنفس الانسانية كما من هنا أيضًا يسهل علينا معرفه كيفية قراءة الافكار وحل الطلاسم وفك الرموز وغير ذلك من المدهشات

فالى هذا الحد نكتفي بما قدمناه من الشواهد لمعرفة كيان الانسان من الجسد والروح والنفس وبما أتيناه أيضًا من أدلة وجود الطوارىء الروحانية على الانفس الانسانية وانما لزيادة الايضاح وقياسا على ما قدمنا بيانه أيضًا نأتي بهذا المثال الاخير لمعرفة حقيقة البيان كما نرى ذلك من مقارنة الآلة الكهربائية بجوهر المخ وعنه تقول

الالة الكهربائية

أولا ـ كما أن للالة الكهربائية صندوقا يقيها من الصدمات والمؤثرات الخارجية

ثانيا ـ كما أن للالة الكهربائية سلوك معدنية تمتد منها الى جميع أطراف المدن الداخلية والخارجية

ثالثا ـ كما أن كل تأثير يقع على السلوك البرقية من أي جهة كانت يصل التنبيه الى الالة

رابعا ـ كما أن الالة الكهربائية لاتقوم وظيفتها بحركة أجزاءها الا بوجود العامل

خامسا ـ كما أن للالة أوقات لاستراحة أجزائها عن العمل عند مفارقة العامل

سادسا ـ كما أن العامل أن لم يعد للعمل بتلك الالة تبطل وظيفتها وتتعرض جميع أجزاءها

جوهر المخ

كذلك لجوهر المخ صندوقا وهي الجمجمة تقيه من الصدمات والمؤثرات الخارجية

كذلك أيضا لجوهر المخ أحبال عصبية تمتد منه الى جميع أطراف البدن الداخلية والخارجية

كذلك كل تأثير يقع على الافرع العصبية من أي جهة كانت يصل التنبيه الى المخ

كذلك المخ لاتقوم وظيفته بحركة أعضاء الجسد الا بوجود النفس (أى العامل)

كذلك للمخ أوقات لاستراحة أعضاء الحركة عن العمل (النوم) عند مفارقة النفس

كذلك النفس ان لم تعد لجوهر المخ تبطل وظيفته وتتعرض جميع الاجزاء الى التلاشي والفساد

للتأكسد والفساد

سابعاً — كما أن العامل المدير لحركة الآلة يلزم أن يحسن بيان النطق وتركيب الحروف لاظهار الغايات

كذلك النفس البشرية المديرة لوظيفة المخ تحسن بيان النطق وتركيب الحروف لاظهار الغايات

ثامناً — كما أنه يوجد لجميع العمال رئيساً عاماً ليكافىء كل عامل على عمله خيراً كان أم شراً

كذلك يوجد لجميع الأنفس البشرية رئيساً عاماً هو الله ليكافىء كل نفس على عملها خيراً كان أم شراً

يؤخذ مما تقدم أن الطاعة لله فرض واجب وأن النفس الانسانية هي التي تُسأل عما كانت تفعل بدنياها لأن الجزاء واقع عليها دون سواها بعد مفارقة الجسد. ولكن على ما نراه أيضاً أن الكثيرين من الماديين والطبيعيين وممن لم يتدينوا بدين ما زالوا حتى الان ينكرون علينا هذا الاعتقاد اذ لا يعتقدون بخلود النفس وحياتها بعد الموت ولا بحساب أو عقاب فلهذا ينبغي منعاً من انتشار تلك العدوى بين الامم أن نأتي بأدلة الاثبات على خلود النفس الانسانية بعد أن نذكر أولا عن حالة النزع أو الاحتضار الذي هو الدور الاخير لحياة النفس في هذه الدار الفانية

النزع أو الاحتضار

النزع هو المنام الاخير الذي يعقبه الموت حيث تفارق النفس الجسد . وأما ما يبدو من مظاهر النفس في الدور الاخير من الحياة فهذا يختلف بحسب اختلاف أميال المحتضر وتوجيهاته الفكرية . إما الى مايدعو لوجوب الحزن والأسف لصعوبة هذا الفراق تاركاً من يحب في القصور وذاهباً الى الوحشة وظلام القبور . وإما أن تكون لسبب ما يتراءى للنفس من اختلاف المحال التي أعدت لقبوله فيها اعنى اما مكان الراحة والهناء وأما مكان الظلمة والشقاء . . ثم عدا ذلك . كثيراً ما يُرى الشخص المحتضر يتمتم بشفتيه غير واع ولا مصغ الى من يجاوره من أهله وخلافهم حيث يكون والحالة هذه مخاطباً أما لأنفس الأبرار والملائكة الأطهار أو مع عالم الشياطين الأشرار . وذلك تبعاً لميله قبل رحلته

على أنه مهما اختلفت احوال المحتضرين لا ينبغي قبل صدور الأمر الالهي بالقبض على نفوسهم أن يعاملوا بما كان يستعمل قديماً لغرض تخفيف وطأة النزع وعدم إطالة مدته وذلك كخطف المسند من تحت رأس المحتضر ووضعها فوق وجهه والجلوس عليها أوغير ذلك مما يمنع عودة النفس الى اليقظة الأخيرة المكنى عنها عند العامة بصحوة الموت لبيان الغرض الأخير لتلك النفس قبل الوداع من حياة الدنيا الفانية حيث ترغب على مايقال أن تتزود بالنظر الأخير لمن

تودّه . وكثيراً ما يترتب على ذلك اطالة مدة النزع حتى بلوغ ذلك الغرض ولهذا أيضاً نرى البعض يديرون سرير المحتضر أو يأمرون بعدم النظر اليه كي لا يكون أمل للنفس فيما تقصد وبذلك تضطر الى مفارقة الجسد والخلاص من ألم النزع والحقيقة في علم الله

فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون

وغاية ما في الامر أنه ما من أحد ينظر الى هيئة المحتضرين مع ما هم عليه من ضعف القوى الحيوية أو الى ذل وانكسار نفس الشخص المزمع ان يفارق الحياة الدنيا الا وتأخذه الشفقة والحنان حتى لذلك صارت العادة عند ارباب القضاء والحكام عندما يريدون تنفيذ حكم الاعدام على من ارتكب جناية مثلا ان يسألونه عما بنفسه ليقضى له قبل ان يقضى عليه عائدا بنفسه الى من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت . .

ولكن من حيث أنه كثيرا ما يتفق للانسان ان ينجو من الاخطار التي تتهدد حياته باي واسطة كانت فلهذا نرى من مقتضيات البحث عن الحقيقة ان نذكر ما صودف لأمثال هؤلاء الاشخاص حيث قيل لا ألم في النزع ووقت الاحتضار بل بالعكس حيث يرى الانسان لذة كما سيتضح ذلك من المشاهدات الآتي بيانها كما جاء عنها ببعض الجرائد والمجلات العلمية وغيرها :—

لذة النزع عند الموت

يوجد كثيرين ممن اشرفوا على الموت وتولاهم النزع وهم يشعرون ويعقلون ثم ثابت اليهم الحياة فتحدثوا بما أصابهم . ويؤخذ من مجمل اقوالهم ان الاحتضار لذيذ بلا خوف ولا رعب وأن الحياة تعب وألم ينتهيان بانتهاء الجهاد في استبقائها واليك امثلة مما قصه أولئك المحتضرين

الحادثة الاولى : حدث أن (ارنولد سيكريست) سقط من قمة من قمم جبال الالب تعلو نحو الف قدم عن سطح الارض والريح عاصف جدا . وانما نجا من الموت لوقوعه على مغارس تلقته أغصانها فوصل الارض محطما وفيه رمق . ثم عاد الى الحياة فقص حديثا هذه خلاصته : —

قضيت في سكوتي وأنا أهوى فى الفضاء والعاصفة تتقاذفني مدة كافية أن اتصور مآل أمري بعد ذلك السكوت فتحققت أني مائت فلم اعد أشعر بالخوف أو الالم كأن الالم من اعراض المجاهدة في استبقاء الحياة . ثم اصابني خدر لذيذ وخيل لى اني انتقلت الى عالم الخلود فانجلت لبصيرتى اغمض مشاكل الوجود والبقاء . وعلمت كيف يستطيع الانسان أن يتجنب الاحزان وسائر أسباب الشقاء في اثناء الحياة . وقلت فى نفسي اذا قدر لى ان اعود الى عالم الاحياء خدمت البشرية بما يعجز أكبر الفلاسفة عنه . وكنت اتلذذ بأنغام

شجيه كأن الجبال والشمس والغابات تغنيها . اه .

قضى ارنولد المذكور عدة ايام ملقى على العشب بين حي وميت وهو فى اسعد حال فلما اخذت الحياة ترجع اليه أخذ يشعر بالالم والعذاب . .

الحادثة الثانية : حدث (لجمس برتن) أحد رجال المطافى أن سقط عليه سقف بعض المنازل فوقع لا حراك به وظنوه ميتاً ثم عاد الى الحياة فوصف شعوره في حال الاحتضار قال : —

انه الذ ما لقيه فى حياته وأنه كان فى سعادة لا يشبهها شيء من أحوال الدنيا وأنه لولا حبه لامرأته واولاده لفضل البقاء في تلك الحال

الحادثة الثالثة : ومنهم رجل اشتد عليه البرد فى الاصقاع الجليدية قرب سان برنار حتى اشرف على الموت فبقي اياما فى حال الاحتضار ووجد انه لم يتغير . فلما عاد الى الحياة قال : —

حالما تحققت اني مائت وكفت قواى عن الجهاد في سبيل الحياة شعرت بسعادة تامة . تجلدت يداى ورجلاى فلم اكن استطيع الانتقال ولا الشعور الا بصرى فقد ظل منيرا مدة طويلة وشاهدت ندف الثلج تتساقط وانا التذ برؤيتها وكنت فى حال هي الذ ما خبرته فى حياتي وتمنيت ان امكث فى تلك الحال أبد الدهر ولا يتداخل احد في امري . ثم اظلم بصري واستغرقت في سبات لذيذ . .

الحادثة الرابعة : ومنهم الاستاذ (متشنكوف) الروسي وقد ايد شهادة الاخرين بأن الموت غير مؤلم وذكر ماخبره بنفسه على اثر حمى شديدة اصابته قال : -

كنت اذا هبطت حرارتي من درجة ١١٠ فاهرنهيت الى الحرارة الاعتيادية أشعر بانحطاط في قواى يشبه ما يشعر به المشرفون على الموت وكنت التذ بذلك الشعور

الحادثة الخامسة : وأغرب ما روي من هذا القبيل حادثة لرجل كان ينزلق على الجليد فوق بحيرة في اسكتلندا فانشق الجليد تحته وغار فيه قال : —

حالما كفت قواي عن المجاهدة في استبقاء الحياة لم أعد اشعر بالألم وعلمت اني في حال الاحتضار ولكنني شعرت بلذة مدهشة وقد ذهب شعورى بالبرد أو الاختناق وكأن أطرب انغام العالم ترن فى اذني . وشعرت كأنى محمول نحو العلى وأخذت من ثم أشعر براحة وسعادة لم اعهد مثلها في الارض وظللت في هذا الشعور مدة تخيلتها دهورا وعقب ذلك غيبوبة مظلمه ثم أيقظني الم شديد كان فاتحة آلامى في حياتي الجديدة

الحادثة السادسة : اتفق لرجل حكم عليه بالاعدام شنقا ثورة بل ان يموت اقطع به الحبل فأنفذ اليه الملك هنري الرابع ملك فرنسا اطباؤه لكى يقفوا على احواله فقرروا بعد البحث معه أنه تألم قليلا في اول

الامر ثم رأى شيئاً شبيهاً بالنار ورأى من خلالها نسقاً من الاشجار الجميلة وحينئذ انقطع به الحبل . .

ومن ذلك ان التمبطان (مريت) غرق مرة. وعندما اشرف على الموت انقذ فقال :حالما انقطع املى من النجاة رأيت الماء حولى كحقول خضراء وكأنني ملقى عليها وقد وقع على ثبات عميق

ومن ذلك ان الجراح (وليم هنتر) قال وهو محتضر للوفاة: لو كان لى قوة لمسك القلم لكتبت « ما اسهل الموت وألذه »

وهكذا مشاهدات اخرى عديدة لا يسعنا ذكرها هنا كما ان المحتضر كثيراً ما يرى ملاكا أو قديساً يتكلم معه بكلام يسمع لمن جاوره .ثم غاية ما في الامر أن حالة المنام هي حالة الموت الحقيقية التي لا رجوع للنفس ثانيا الى جسدها الا بأمر الهي

قرآن — وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . .

وحيث اكتفينا بما قدمنا عن بيان تلك الشواهد بقى علينا ان نتكلم عن خلود النفس الانسانية الناطقة

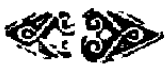

الباب الخامس

خلود النفس البشرية

النفس هي نفخة من روح الله الازلية الابدية في الانسان وهي مخلدة باقية اذ لا يجوز عليها فناء لانها بسيطة الجوهر وليست كالمادة الواقعة تحت حكم التحليل والتركيب أو التلاشي والعدم وقد بينا في الباب الثالث أنها قريبة الشبه بالله وعلى ذلك فهي خالدة بخلود الله

ويقول الشهير أبيخر وموس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أن المركب ينحل ويعود الى أجزائه وأن كل شيء يعود الى ما جاء منه فالارض للارض والنفس الى العلاء

وقال ارستطاليس أن النفس اذا تعلقت بالبدن واتحدت به صارت النفس عين البدن والبدن عين النفس ومجموعهما بعد الاتحاد هو الانسان فاذا جاء الموت فسد البدن وبقيت النفس

وقد جاء بالتعليم المسيحي للبطريك الانطاكي متوديوس رداً على سؤال « هل النفس تموت كموت الجسد » فقال أنها تموت ولكن ليس كالجسد الذي يموت فيعدم حسه ويتلاشى بل أن النفس اذا ماتت بالخطية فأنها تعدم النور العقلي والفرح والغبطة الا أنها تبقى غير فاسدة ولا مضمحلة بل تدوم باقية في الظلمة ومتألمة في الحزن (جزء أول) كما قد قام الشاهد على ذلك بالقرآن الكريم

أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها

وقد جاء بالدر النظيم عن قول السيد مكاريوس . أنه تعالى قاض عدل يجازي كل واحد حسب أعماله . غير أننا لا نرى في هذه الدنيا وفاء لحكمه الصارم وعدله العظيم . وكم مرة رأينا ونرى الخطاة الجانحين عن الشريعة الادبية يرفلون في سرر الخيرات والملاذ عفواً صفواً بل لا زالوا يستخدمون الجرائم لاحراز ما يرومون . أما الذين يتقون الله السائرون على سبيل الصلاح والحق فيطردون ويتكبدون مشاق عظيمة مع أنهم جديرون بأشرف مكافأة لمراعاتهم اوامر الحق. فيتحتم على كل عاقل أن لا يرتاب في الحياة الثانية حيث الحاكم السماوي يكافيء كل واحد حسب أعماله (اللهم الا اذا فقد الانسان عقله وأنكر ما له من الكمالات) وأنه تعالى يسوس هذا العالم ويعتني به فاذا لم يكن للنفس حياة أخرى فلا يكون الله عادلا ولا معتن بالعالم لان أخص ما يقوم به عدل الله وعنايته هو الثواب للفضيلة والعقاب على الرزيلة فاذا لم يكن عقاب ولا ثواب نجت غالباً الرزيلة من العقاب ولا تفز الفضيلة بثواب

وأننا كثيراً ما نرى فضلاء تكتنفهم المصائب والنكبات ورزلاء يتنعمون بالغنى والملذات والمسرات فعدل الله وعنايته يستلزمان وجود الثواب والعقاب للنفس لتنال الفضيلة ثوابها والرزيلة عقابها . ولعمري أن العقاب والمكافأة لا يجوزان الا على كائن عاقل مدرك

بذاته حاصل على معرفة أفعاله السابقة . ومن ذلك نستدل على أن النفس تقوم بذاتها بعد فناء الجسد وتمارس قواها وتستشعر بما سلف لها من الافعال . .

ثم اذا نظرنا الى الموجودات الحيه نرى أنها تصل الى درجة البلوغ وتتم المقصود من وجودها مبينة كل ما لها من الخواص الطبيعية. أما الانسان فلا يبلغ كما له في هذه الحياة وليس فى هذا العالم ما يكفى احتياجاته الروحية لان نفسه ذات حاجات واشواق روحية تطلب السماويات بل مشاركة الله ذاته . أليس ذلك دليلا على ان النفس مخلوقة لحياة اسمى من الحياة الحاضرة ؟

على أنه قد تصدى لهذه الحقائق البعض من أهل الكفر ولكل طائفة منهم معتقد خاص وسنبين بعض المعتقدات الشائعة فى عصرنا الحاضر ليتبين لكل ذي لب بطل هذه المعتقدات

﴿ بعض الاقوال الكفرية الشائعة فى عصرنا الحاضر ﴾

(١) الطائفة التي تقول ان معرفة الله والاشياء الروحية والحياة العتيدة من الامور المجهولة لامحاله التي ليس لها من الدليل الكافى ما يوجب اعتقادها . وبما انهم انكروا صحة البراهين على وجود الخالق وما أوحاه الى البشر ورفضوها كل الرفض قالوا أن الانسان غير مكلف باعتقادها وان ذلك بعيد لا يقبله العقل السليم . ومنهم ايضا الذين تجاسروا وقالوا ان معرفة الله والامور الروحية والحياه العتيدة مستحيلة.

أى ان الانسان يجهل بالطبع كل ما هو خارج عن دائرة حواسه كل الجهل وليس واسطة تمكنه من نوال شيء من معرفة الله أو مما وراء هذه الحياة الارضية وهو غير مكلف بالسؤال عن الله ولا عن اعلان منه ولا بخدمته وهذا المعتقد الغريب مردود بالعلم والعقل والاختبار والوحي وهو يقود الانسان الى اليأس ويحط شأنه الى درجة الحيوانات البكم ويجعله يعيش لنفسه ولهذه الدنيا ويقطع عنه كل رجاء غير ما يتعلق بهذه الحياة الفانية . .

(٢) الطائفة التي تعتقد أن هذه الحياة أهم الامور ولذلك يجب على الانسان أن يسأل أولا عن واجباته الدنياوية المتعلقة بحياته الحاضرة. وقالوا أن مرشده الوحيد في هذه الحياة الدنيا هو نواميس الطبيعة فلا لزوم للاتكال على الله تعالى ولا فائدة من الصلاة وعندهم أن مايعتقده البعض من عناية الله انما هو خرافة ووهم وكذلك اعتقاد الوحى والحياة الابدية وأن الانسان يقدر من نفسه أن يرى ما يوافقه من المباديء الادبية بواسطة العقل والاختبار وأن الادبي انما هو المفيد في هذه الحياة الدنيا . وعلى هذا المعتقد الانسان مسئول فقط لنفسه وله أن يتصرف بحسب أهواء قلبه الشريرة بدون أدنى مانع

(٣) الطائفة التي تعتقد لزوم المساواة في أحوال البشر وأن كل شيء يجب أن يكون مشتركا بين الجميع على حد سواء ويشبههم الذين يحاولون نظام الهيئة الاجتماعية بحسب اعتقادهم وهو أن كل العلاقات الشخصية والجمهورية يجب أن تكون تحت شرائع سياسية لاجل خير

العموم وأن مسئولية العائلة مثلا تنتقل الى الحكومة السياسية وهـذه الطائفة ترفض الوحى ولا تعتقد بوجود الله ولابالحياة الابدية —

فهـذه المذاهب وأن أصابت في اعتبار هذه الحياة وأهميتها أخطأت في اعتبار هذه الحياة وحدها وانكار نسبتها الى الحياة العتيدة ومسئوليتنا لله تعالى . واعتقاد أن ليس لنا مرشد غير نواميس الطبيعة . ومن مراجعة الادلة الآنف ذكرها يتضح بطل هـذه المعتقدات المهينة لشأنه تعالى ولاعلاناته الظاهرة ولجميع الحقائق الادبية والدينية المثبتة من كتبه تعالى

شواهد الكتب المقدسة

بعد أن توفى النبي صموئيل دعاه الملك شاول لاستجوابه عن أحواله وما سيحصل له ولمملكة اسرائيل وكان ذلك بواسطة العرافة التي كانت مقيمة بعين دور وخاطبه النبي صموئيل قائلا

ويدفع الرب اسرائيل أيضًا معك ليد الفلسطينين وغدا أنت وبنوك تكونون معي (اصم ٢٨ : ١٥)

ومنها — لما مات ابن الارملة التي كان نازل عندها النبي ايليا فعل هكذا . فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد الى جوفه فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه (املوك ١٧ : ٢١)

ومنها رجوع نفس لعاذر بعد أن مات ودفن وانتظر أربعة أيام في القبر حتى انتن وقد وقف سيدنا المسيح على باب القبر وناداه « لعاذر هلم خارجًا »

ومنها رجوع نفس طابيثا الى جسدها بعد موتها (اع ٩ : ٣٦)

و رجوع نفس الشاب افتيخوس اليه بعد أن حمل ميتًا عقب سقوطه من الطبقة الثالثة (اع ٢٠ : ٩)

ومنها . جاهد جهاد الايمان الحسن وأمسك بالحيوة الابدية التي اليها دعيت ايضًا (تي ٦ : ١٢)

ومنه عن قوله تعالى : —

هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية (يو ٣ : ١٦)

ومما جاء بالقرآن العزيز

لا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون

ومنه — الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم

ومنه — فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير

ومنه — قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون

ومنه — إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين

وهكذا توجد جملة شواهد وآيات أخرى تثبت لنا خلود النفس بعد فناء الجسد حيث تبقى على الصورة الخيالية للذات الانسانية كما قدمنا وعدا ذلك توجد جملة حوادث يؤخذ منها أيضاً صحة خلود النفس بعد مفارقة الجسد نذكرها أيضاً تفكهة للقراء

الحادثة الاولى : روى عن أحد الاشخاص أن عامل من عمال السكة الحديد كان متمتعاً بصحة تامة وعندما حضر الى بيته وجلس مع أولاده وزوجته على سفرة الاكل سقط بغتة على الارض لاحراك به ولا حياة . فللحال علا الضجيج والصراخ والبكاء على فقدانه . وقد كان لذلك الشخص جار يدعى باسمه (أي سميه) ولم يكن بين

سكنيهما سوى حائط يفصل بينهما . فبينما أهل البيت يندبون ميتهم ما يشعروا الا والحياة عادت اليه ثانيًا وجلس متعجبًا مما رآه وسمعه من أهل بيته لا بل بالاكثر مما شاهده بغيبوبته ولما سئل عن ذلك قال بينما كنت معكم وجدت نفسي بغتة كأنني محمول الى العلاء بقوة غير منظورة وبحالة أسرع من البرق الخاطف وعندئذ سمعت صوتًا كاد أن يملأ السموات والارض قائلا رد النفس الى مستقرها لأن المطلوب نفس الجار سميه وعندها استيقظت وها أنا كما ترونى سالما فما بالكم تنوحون وتبكون . وقبل أن ينتهى من حديثه ضجت الأصوات وعلا الصراخ والبكاء والعويل فى منزل الجار الذى مات فجأة . . فتأملوا يا أولى الالباب

الحادثة الثانية : جاء عن توأمين معروفين فى القاهرة كان احدهما مستخدما فى بعض مكاتب المحامين بمصر فمرض ومات فى لبنان وكان فى مكتبه اوراق تتعلق بأشغاله مرتبة فى اماكنها ـ فلما علم المحامي بوفاته استلم اوراقه الا ورقا يتعلق ببعض القضايا لم يقف عليه فسأل شقيق المتوفى عن ذلك الورق فلم يقف له على اثر . وفى ذات ليلة بينما كان الاخ مشغول الذهن بالبحث عن تلك الاوراق نام فحلم أن اخاه جاءه ودله على المكان الذي كان الورق فيه ولما استيقظ بحث عنه فاذا هو هناك وسلمه للمحامي (هلال)

الحادثة الثالثة : من أغرب ما رواه المستر (ستيد) فى الايام الماضية أنه كان مع اميرة روسيه ووعدها ان يرافقها فى صباح اليوم

التالى الى ميدان الطيران فى مدينة شالون ليشاهد طيران ابنها بولوتوف . وفى صباح اليوم الثانى بينما هو في مكتب جوليا يخاطب الارواح إذ به يسمع صوتا غريبا يقول. اذا ذهبت الى شالون فاني ذاهب معك فسأله ستيد من أنت ؟ فأجاب أنا متوف من زمن قريب واسمي ليفير. فلم يظن استيد أنه ليفير الطيار الفرنساوى الذى توفى قبل ذلك بيومين والذى جاءت التلغرافات العموميه بخبر سقوط طيارته وقتله فيها ويقول المستر ستيد انه لم يكن يعلم خبر وفاته الى ذلك الحين .

فسأله استيد أتعرف الطيار بولوتوف ؟ اجاب الصوت نعم أعرفه واوصيك ان تحذره من المخاطره لاني ارجح ان آلته لا تدور كما يجب ولست اقول انه سيكون من وراء ذلك نكبة ولكن خبر بولوتوف على كل حال ان يفحص الالة جيداً. ثم اوصيك ان لا تركب الطياره معه واعلم أني سأرافقك الى ميدان الطيران لاني أريد ان اكتب عن هذا الموضوع بواسطتك . وفى اليوم الثاني علم استيد بموت ليفير الطيار فجاء الى المكتب وسأله قائلا . ما الذي اوجب سقوطك بسرعة ؟ اجاب لم افكر فى ذلك لان الذي يسقط بسرعة لا يستطيع ان يفكر فى سبب سقوطه . قال : هل حافظت على ثباتك أثناء سقوطك ؟ أجاب كل ما شعرت به انني اسقط وقبل وصولى الى الارض غبت عن الصواب فلم احس بألم قط ولا بشيء فى جسمي سوى انه خيل لى ان عقلى القى بعيدا عني وبعد ذلك اخذتني دورة سريعة ثم شعرت فجأة بانفصال جزء مني ورأيت نفسي في الهواء

ناظرا تحتي الى بقاياي المائتة والى طيارتي . فسرني هذا المنظر قليلا . وشعرت كذلك ان بجانبي قوة عظيمة تهدىء روعي وهذه القوة هي التي ستكتب بواستطك غدا حينما تكون فى شالون

ويضيف المستر ستيد الى هذه المحادثة انه ذهب بعد ذلك الى بولوتوف ورأى طيارته فوجدها على ما يرام ولكنه حينما ركبها لم تدر الاله التي تحركها طبقا لما قاله ليفير . وشهد الميكانيكي الذى يشتغل مع بولوتوف ان ستيد صدق فى كل ما قاله وأنه بنفسه حاول ان يدير آلة الطيارة فلم تدر . وما كادت اقوال ستيد تنشر في جريدة حتى تجاوبت الاصداء بها الى جميع العالم حتى نشرتها ايضا جريدة مصر فى ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٩ تحت عنوان مخاطبة الاموات

فمن هذه الحوادث يتضح جليا خلود النفس الانسانية بعد مفارقة الجسد الفاني وليس ما اتيناه بأكثر مما جاء عنها بكتب الله المنزله خصوصا فيما يتعلق بالبعث والنشور والحساب والعقاب والى غير ذلك مما تنكره علينا اعداء الديانات وارباب المفاسد والغايات وقد جاء عنهم

قرآن — زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا قل بلا وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسيرا

ولما كان الكثيرون يخلطون فى مسألة القضاء والقدر وينسبون الى الله الظلم والجور بالنسبة لمسألة الاختيار رأينا وفاء لحقيقة البيان ان نوفي القراء عن هذه الحقيقة ليتبين لهم عدل الله المتناهى وحكمته الازلية

القضاء والقدر[1]

ان قضاء الله هو قصده الازلى حسب رأى مشيئته الذي به سبق فعين لاجل مجده كل ما يحدث . وقيل ايضا ان الله منذ الازل حسب رأى مشيئته الكلية الحكمة والقداسه قضى كل ما يحدث قضاء اختياريا عديم التغير الا أنه لم يصر الله منشيء الخطية ولا تغتصب ارادة خلائقه ولا تنزع حرية الاسباب الثانوية . بل امكان حدوثها بل بالحرى تثبت . .

وهذا القضاء يشمل كل ما وقع وكل ما سيقع من الحوادث مع اسبابها وشروطها ومتعلقاتها ونتائجها وهو يجعلها محققة الحدوث لان الله قصد ان تكون كذلك . وهو قضاء واحد ازلى فاذا ورد ذكره بصيغة الجمع كان ذلك من باب التوسع فى الكلام

وان كان الانسان الحكيم لايشرع في عمل دون قصد وغاية فبالأولى ان الله أحكم الحكماء لم يشرع في أعماله العظيمة التي تحتاج على الدوام الى عنايته مثل الخليقة والفداء بدون قصد سابق سام ووضع نظام يجرى عليه . واعتقاد ذلك يريح عقولنا أيضاً أكثر جداً من نسبة كل شيء الي الصدفة لأن الكون بدون سلطان الله المطاق عليه واجرائه مقاصده تعالى بالحكمة والثبات يكون في أسوأ حال

---

(١) فى هذا الفصل قد نقلنا بعض البراهين المفيدة في هذا الموضوع من كتاب علم اللاهوت .

على أنه يصعب على العقل البشري فهم هذا الموضوع لقصر ادراكنا العلاقة التي بين الله غير المحدود والكون المحدود وبين سلطان الله المطلق وحرية الخلائق العقلية ولا سيما العلاقة بين وجود الخطية وقداسة الله وحكمته وجودته وقدرته ونحو ذلك من الصعوبات التي ترى في كل النظامات اللاهوتية والأرثقية والوثنية التي تعلم وجود الله وحكمه الازلى وحرية الانسان نظير فاعل ادبي مختار وهذه المسائل قد أشغلت عقول الفلاسفة القدماء الوثنيين والكفرة الحديثين والمتمسكين بالنظامات اللاهوتية على انواعها . ولا يمكن أن يستند في فهم وحل هذه المسائل الا على تعليم كتب الله المنزلة وارشاد روح الله القدوس . .

أما القضايا الرئيسية في تعليم القضاء فهي : —

(١) معرفة الله السابقة كل الحوادث معرفة يقينية لانه قد قضاها منذ الازل

(٢) قضاء الله كل الحوادث المستقبلة التي تصدر منه أما رأساً أو بواسطة ثانوية طبيعية والتي هي من أعمال البشر والملائكة الاختيارية شراً كانت أم خيراً

(٣) اتمام الله قضاءه على طرق مختلفة أما بقدرته رأساً كما في الخلق الاصلى أو باستخدام الاسباب الثانوية التي تعمل بموجب نواميس طبيعية واما بواسطة العاملين المختارين الاحرار أما على سبيل الحث والاستخدام أو على سبيل السماح بما يشاء ولا فرق في كل هذه

الطرق من جهة تأكيد وقوع الحوادث ويقينية اتمامها

(٤) قضى الله الوسائط كما قضى النتائج وقضاؤه العلة كما قضى المعلول وقضاؤه ظروف اتمام الحوادث وشروطها كما قضى الحوادث نفسها وقضاؤه الآلات كما قضى الغايات المقصود بها

(٥) قضاء الله يؤكد وقوع المقضيّ وان يكن اتمامه ليس منه تعالى رأساً بل بواسطة ما يستخدمه لذلك بعنايته في حينه

(٦) قضاء الله واحد يعم كل الامور بقصد واحد أزليّ والمراد بوحدة قضاء الله هو ان كل الحوادث التي وقعت والتي ستقع كانت لدى عقل الله منذ الازل وأنه قضى في الازل ما حدث منذ البدء الى الان وما هو حادث تحت النظام الحاضر بكل تغييراته وما سيحدث الى الابد وأن سبب حدوث أمر في وقت ما هو لان ذلك الوقت هو المعين له في قضاء الله . وعلى ما تقدم قضاء الله واحد لا أقضية كثيرة ولا مبدوعه من وقت لاخر حسب مقتضيات الاحوال . والحوادث المختلفة التي لا تحصى هي أقسام قصد واحد عام أزلي وذلك يلزم عن كون الله غير محدود في طبيعته وعن انه لا يكون ذا كمال اذا كانت مقاصده متجددة أي يقصد الان ما لم يقصده سابقا تعالى عن ذلك .

ولما كان هذا القضاء الوحيد يتضمن امورا كثيرة بعضها متعلق ببعض جرت العادة ان نتكلم فيه كأنه أقضية كثيرة متنوعة متوالية . ولاجل ايضاح وحدانية قصد الله الذي يتضمن كل امور الخليقة والعناية والفداء نقول اذا رأينا قصراً واسعا ذا اجزاء عديدة لها نسبة بعضها الى

بعض عرفنا أنه واحد وان كثرت اجزاؤه وأن المهندس قبل شروعه في البناء صور فى ذهنه قصرا واحدا مع انه قصد ان يؤلفه من اجزاء كثيرة على نسب متنوعة

والمراد بأزلية قضاء الله هو انه منذ الازل . وذلك لانه لما كان الله كاملا كان غير ممكن ان يكون له مقاصد في وقت لم تكن له في وقت آخر لانه يرى النهاية منذالبدء وأقسام الزمان لا تأثير لها بساكن الأبد ولا يخفى أنه يلزم عن اعتقاد عدم أزلية مقاصده ازدياد معرفته على الدوام وهذا لا يليق بشأنه تعالى ولا يوافق كمال الازلى المعرفه والجوده والقدرة غير المحدودة

ولما كان الله عاقلا مختارا وكلّى الحكمة والقدرة كان قضاؤه لا محالة اختياريا ناشئاً عن مجرد مشيئته دون ان يضطره اليه سبب خارجي أو دون افتقار الى شريك او مشير فى قضائه وانه غير مقيد ولا متوقف علي امر آخر ولا تحت الريب

فقضاء الله يجعل حدوث الامر المقضى مؤكدا أى أن ما قضاه لابد ان يحدث سواء قضى ان يفعله هو ام قضى ان يسمح بحدوثه لانه تعالى قد قضى ان يفعل بعض الامور وأن يسمح بحدوث غيرها فالخير يفعله هو والشر يسمح بحدوثه اما بخصوص قضاء الله وتعليم القدر عند الوثنيين القدماء فانهما يتفقان في القول بتأكيد حدوث الامور ويختلفان في كل ما سوى ذلك . فتعليم القدر الوثني القديم هو ان كل الامور مؤكدة الحدوث لان النواميس لا تتغير بل

تجري مجراها بدون تميز عقلي و بقوة لاتقاوم و بدون نظر الى النتائج وأنها مستقلة عن ارادة خالق أو مخلوق (أي اليس فيها مدخل للغايات والمقاصد العقلية) ولا محل للاختيار الحر ولا لاستعمال وسائط بل كل الحوادث تجري على مايوجبه القدر الأعمى بالالتزام المطلق . وتعليم الكتب المقدسة هو أن تأكيد حدوث ماقضاه الله مبني على وجوب آب إلهي قادر قدوس محب قضى بحكمته وسلطانه وحسب رأى مشيئته ولأجل غايات حسنه كل ما يحدث في الكون الذي خلقه وأنه في إتمام ذلك يطلب الخير الأعظم والمجد الاسمى و يستعمل أفضل الوسائط و يراعي حرية خلائقه العاقلة ولا يغتصب أحد و يستعمل أسبابًا ثانوية بدون مخالفة طبيعتها ولا حط شأنها ـ فالفرق بين هذا وذاك كالفرق بين الانسان وآلة ميكانيكية أو كالفرق بين ارادة الاعمال الحرة في المخلوق العاقل وأعمال القوات الطبيعية الجارية حسب نواميس المادة

أما تعليم القدر عند الامم فانه يتفق مع قضاء الله في تأكيد حدوث الأمر فقط و يتباين كل التباين في سبب ذلك التأكيد أو توقفه على استعمال الوسائط وفي تأثير ذلك التعليم في عقول المتمسكين به وضمائرهم فبين التعليمين من المباينة ما بين الآلة والانسان ومابين قوة الجاذبية وأفعال الحكمة والقوة والمحبة غير المحدودة . لأن تعليم قضاء الله يفيد أنه تعالى قضى كل شي فى غاية الحكمة لكي يسبب خيراً عظيما وأن كل الامور جزء من نظام واحد لاتمام غاية مجيدة . وأما تعليم القدر

فينسب كل الأمور الى الاضطرار الأعمى الذي حكم به بلاقصد ولا التفات الى خير أحد ولارحمة وهو ينتج التسليم الجبري الى مجرد القوة التي لا تقاوم وأما ذاك فينتج الخضوع عن رضى وثقة بمشيئة حاكم حكيم ومحب .

فنتعلم من هذا ان قضاء الله السابق ومسئولية الأنسان يجتمعان في أمر واحد بدون مناقضة ولو ظن المؤمنون أن الله لم يقض منذ الازل كل مايحدث لزالت ثقتهم به تعالى ولكنهم لم يزالوا ولن يزالوا في الطمأنينة في ظله وإرشاده لأنه يملك ويعمل حسب مسرته في السماء وعلى الارض

وهذه النتيجة يدركها عقل الأنسان على البداهة لأنه يرى أن كل الحوادث هي على هيئة سلسلة كل حلقة منها متعلقة بما قبلها وبما بعدها وأن للارادة البشرية الحرة فعلا عظيما في مجرى الأمور فلو لم يكن لله سلطان مطلق على تلك الاعمال الاختيارية لعجز عن ضبط مايتعلق بها وما كان حكمه الا سلسلة وسائط جديدة وتغييرات عديدة للغلبه على ما يعترض إتمام مقاصده من أعمال الناس الحرة الخارجة عن دائرة قضائه وكانت أيضاً معرفته تتجدد وتزداد كلما أحدث فاعل مختار عملا لم يكن ضمن قضائه الأزلي ولذلك تتغير مقاصده وغاياته على الدوام وكذلك كانت النبوة عن المستقبل مستحيلة . وذلك يظهر بطله عند أول وهلة متى نظرنا الى كثرة مالنا من النبوات عن أعمال الاشرار والصالحين وتمامها بغاية التدقيق كالنبوات عما حدث في عهد الفراعنة ونبوخذ نصر وكورش وغيرهم .

غير أن بين معرفة الله الامور المستقبلة ومعرفة البشر فرق عظيم . فان كل الامور عند الله مؤكدة وعند البشر غير معروفة و بالتالي غير مؤكدة ولذلك ليس في طاقة العقل البشري ان يحكم فى هذه المسألة أي معرفة المستقبل الأكيدة لخروجها عن دائرة قدرته غير أنها ليست مستحيلة على الله . ومما يجب ذكره أن الذي خلق قضى وانه جعل قضاءه في إتمام كل أمر موافقًا لطبيعة ذلك الامر فما قضاه في دائرة الطبيعة قضى حدوثه طبق نواميس الطبيعة بحيث يكون اضطراريا وماقضاه في دائرة الأعمال البشرية الحرة قضى حدوثه وفق نواميس العقل والارادة الحرة لا باضطرار النواميس المقيدة. ولما كان الله قد قضى ان تكون أعمال البشر اختيارية أى تنشأ عن ارادتهم الحرة كان قضاؤه يثبت حرية الارادة . ولا يخفى أن هذا سر من أسرار حكم الله الكامل العادل ولهذ لا نستطيع ان ننكر أن الله لأجل إظهار مجده قضى سابقًا على بعض الناس والملائكة بالحياة الابدية وآخرون بتعيينهم سابقًا للموت الأبدي

فالذين قد تعينوا للحياة انتخبهم الله قبل تأسيس العالم حسب قصده الازلى العديم التغيير ومشورة مشيئته السرية وحسن ارادتها . اما من جهة سائر البشرية فقد شاء الله حسب رأي مشيئته الذي لا يفحص الذي بموجبه يرحم أو يمنع الرحمة لأجل مجد سلطانه المطلق على خلائقه أن يفوتهم وأن يعينهم للاهانة والسخط لأجل خطيتهم ولمجد عدله المجيد

والتعيين هو أما للحياة الابدية وهو الاختيار وأما للترك الأبدي وهو الرذل وقضاء التعيين انما يختص بجنس ساقط. ولما كان البشر في حالة الخطية قضى الله تعيين بعضهم للخلاص وترك الآخرين في خطاياهم

وعلى ذلك قامت اعتراضات كثيرة نذكر أهمها والرد عليها

(١) انه مضاد لعدل الله . فنجيب أن عدل الله لايطلب خلاص أحد من الخطاة وأن تبرير الفاجر دون مراعاة مايطلبه العدل مخالف للصفات الالهية ولذلك كان الخلاص بالضرورة من النعمة لا من الاستحقاق . ولما كان جميع الذين يخلصون انما يخلصون برحمة الله فلايحق للذين يهلكون أن يحسبوا أنفسهم مظلومين لأن الله عاملهم بالعدل لا بالرحمة .

(٢) أنه يجعل الله محابياً وذلك لايليق به تعالى . فنجيب أن هذا غير صحيح فان إلله لايستحق اللوم إذا رحم إنساناً دون آخر وعامله باللطف والمحبة لأن ذلك لايخول المرذولين حقاً شرعياً في رحمته اكثر مما لو لم يرحم أحداً فاذا خلص فرداً من البشر فلا يصير ملزوما أن يخلص الجميع . ألا ترى أن قضاء الاختيار والرذل نظير قضاء أمور كثيرة ذات أهمية في أحوال البشر الجسدية والدنياوية مثل تركه البعض في الجهل والظلمة والتوحش واعطاء غيرهم جميع بركات المعرفة والتمدن ؟ وهذا اعتراض ناشىء عن سوء فهم حقيقة المحاباة التي هي انحراف الحاكم عن الحق والعدل فلو أظهر الله ذلك في اجراء عدله

لصح هذا الاعتراض ولكن الكلام هنا في رحمته لقوم من الخطاة دون غيرهم التي يحق له ان يظهرها لمن يشاء

(٣) انه مخالف لقداسة الله . فنجيب أن هذا الاعتراض لا يصح من جهة المختارين لانه يختارهم للقداسة ولا من جهة المرذولين لأن قداسة الله لاتمنع اجراء القصاص العادل على المجرمين بل تقتضي ذلك .

(٤) انه مضاد لحريتنا . فنجيب ان قضاء الاختيار والرذل لا يجعل الانسان تحت الالتزام في امر ما لانه يبقى فاعلا حرا أي اذا أثر الله فينا لكي يجعلنا نختار الخلاص فذلك لا يبطل حريتنا واذا تركنا لنختار الهلاك نكون احرارا أيضا

(٥) انه يمنع الاجتهاد ويبطل فائدة كل واسطة . فنجيب ان قضاء الله يشمل اجتهادنا والوسائط ولذلك وجب استعمالها الان ما قضاه قضى اتمامه بها . واذا قال احد اذا كنت من المختارين أخلص لا محاله سواء استعملت وسائط الخلاص ام لا وبالعكس اجبنا ان الاختيار والرذل لا ينفكان عن الوسائط المعينة ولذلك ليس خلاص لمن يهمل وسائط الخلاص ولا رذل لمن يستعملها كما ينبغي . فنحن لا نعرف قضاء الله ولكننا نعرف الوسائط واننا اذا استعملناها نلنا النتيجة

والخلاصة ان لنا خالقاً عاقلا رحيما قادراً على كل شيء وكل امور الكون في يده وهو قد وعدنا ان يحول ما فيه من الاتعاب

والبلايا والآلام الي اعظم خير لخلائقه والى تربيتهم وبنيانهم في الفضائل العظمى . اما مسألة عدم مساواة احوال البشر في هذه الحياة فلها حل وراء هذه الحياة وبعد الحكم الاخير منه تعالى لا نرى سبباً للريب من جهة حكمته وجودته وعدله .

فالى هذا الحد نكتفي بما اتيناه من أدلة الصدق وحقيقة البيان عن وجود الخالق وكيان الانسان سيما عن هذه النفس الناطقة التي أنعم الله عليها بجميع خيرات هذا الوجود لا لملاذها الدنياوية فقط بل لنوال تلك اللذة الاخيرة في دار الحياة الابدية كما اجمعت على ذلك رؤساء الديانات وجميع الطوائف المتعبدة لله تعالى . فلهذا وجب ان نأتي ايضا بخلاصة الافكار فيما يختص بالنفس البشرية الناطقة وما ينتهي اليه مصيرها في الدور الاخير وليكن كلامنا في هذا الموضوع خاتمة هذا الكتاب

خاتمة الكتاب

انجيل — البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تثبتوا ضد مكائد ابليس . فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء والسلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية فى السماويات من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير (اف ٦ : ١٣)

قرآن — واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون .

إعلم ايها القارىء اني وان يكن أسأت بك الظن الا أني ما اتخذتك سميراً الا لغرض في النفس وهو حميد أى لعل وعسى انهتدي الى طريق الخلاص لننجو من فخ ابليس وشر القصاص

ولما كان غرض الشيطان ان يربك حياة الانسان ويجعله يرتطم فى شواغل تنغص عليه عيشه رأيت ان اقوم بهذا الواجب الانساني محاربة اياه بسلاح كلمة الله حتى ترجع للحياة بساطتها وللعيشة زخرفها علي ان كل من يقف نفسه ومواهبه على شهوات النفس وأهواء الشيطان يضاعفها حتى يضعف امامها وتقوى عليه فتستعبده واذا ما استرقته فقد الارادة والاحساس ولم يعد يميز بين المليح والقبيح فخضع لسلطان الشهوات الجائر حتى يأتي وقت فيه يعض عل صوابع الندم عندما

تسطو عليه العاهات ويصبح من كثرة المصائب والشدائد والضيقات يصرخ من فؤاد جريح وقلب غير مستريح أواه واسفاه لا طبيب للألم يمنع ولا دواء للداء ينفع ولا مال للسقم يدفع ولا من منجد يعتمد عليه ولا من شفيع يركن اليه. وهكذا يئن من كثرة النوائب ولا يجد وسيلة يدفع بها عن نفسه تلك المصائب سوى البكاء والنحيب وأذراف الدمع الصبيب هابطا الى النحول . والنحافة والذهول الى أن يرى الدنيا ظلاما بين عينيه . وملاك الموت مرفرفا حول جنبيه وعندئذ يفتكر بمولاه راجيا عفوه ورضاه هاتفا من فؤاد كليم وقلب حزين أغثني يا مغيث الملهوفين . ارحمني يا ارحم الراحمين . إني أسألك توبة عن الماضي وشفقة ورحمة لذلي وأمراضي . حقا لقد أخطأت اليك يامن حياتي ومماتي بين يديك .

وهكذا عند الشدة يتضرع لمولاه ليفرج عن همه وغمه وبلواه ولكن هيهات هيهات ان يتوب او لايعود الى تلك المعاصي والذنوب . .

نعم ان الله سبحانه وتعالى شفوق حليم ورءوف رحيم يجود بالرضى والاحسان على من تاب من مختلف الشعوب والاديان ولكن قل ان يتعظ الانسان مهما توالت عليه المصائب والاحزان ولو تعقل الانسان لقال : —

كيف تدفعني نفسي . . على انكار الخالق وعبادته ورفض وصاياه
كيف ترفض نفسي . . الاعتقاد بأن الله خلق الانس والجن وكل ما نراه
كيف تستحل نفسي . . القتل والسلب والزنا والربا وكل ما يغضب الله

كيف تشتهي نفسي . . الافعال الذميمة وكلما ملكت يمين المرء و يسراه
كيف تكره نفسي . . محبة القريب ومعاملته بما أشتهيه لنفسي وأتمناه
كيف تدعوني نفسي . . الى عدم الامتثال لطاعة الله وعبادته وتمني رضاه
كيف لا تهتدي نفسي . . الى الايمان بالله و بملائكته وكتبه وبمن اصطفاه
كيف لا تميل نفسي . . إلى الاعتقاد بأن الله جبل آدم تراباً وسواه
كيف لا تبرهن نفسي . . أن الله خلق الانسان وأحسن مثواه
كيف لا تقرب نفسي . . الى الصوم والصلاة ليجزى المرء بما قدمت يداه
كيف لا تصدق نفسي . . أن الجنة للمتقين وجهنم للكافرين ولمن عصاه
كيف لا تؤمن نفسي . . أن من يهب الخيرات و يعفو عن الذلات
ويمحو السيئات هو الباري تعالى في سماه

هذا هو حقيقة الواقع وواقع لحقيقة وليس من العقل التشبث بمذهب العقليين (أي عدم التصديق والايمان الا بما يتحقق بالاختبار) ذلك المذهب الجامد الذي ينكر كل مالا تشاهده العين أو تلمسه اليد لان التقيد بهذا القيد الضيق يحصر العقل في دائرة ضيقة و يترك الفصل في الامور للحواس المادية فيلاشي مواهب الادراك والتميز وصحة الحكم وهذه المسأله من أهم المسائل الاجتماعية وأشدها تعقيداً لان نشاط العقل لمعرفة الغوامض شديد الخطر فهو أبداً يبحث عن تلك الامور المتوارية في ظلام الغيب والتائهة في دياجير المجهول . ومن المؤكد أن البحث العقلي من أشق الاعمال وأكثرها حاجة للتروي والصبر فان استقصاء الحقائق والعثور عليها ليس بالأمر الهين ولكن الحاجة الماسة تدفع

الانسان الى البحث وتسهل له سبيل الاستدلال فيصل الى الحقيقة

والايمان بالله يقوى الفكر و يقيه شر الاندفاع الى ما وراء المعلوم و يوقفه عند الحد الجائز ويجعله كثير الثقة بالخالق و بخلود العالم الى ماشاء الله و يحسن عناية الله بنظام الوجود وسائر الكائنات فيرتاح خاطر الانسان و يطمئن و يعيش هادئاً آمناً كما تعيش الازهار والاشجار وسائر المخلوقات التي لاتفكر ولا تبحث في كيفية الوجود وسر الحياة

فالايمان هو السر الوحيد الذي ينعش النشاط في الانسان ويجدده و يدفعه وراء الرزق وكل مايزعزعه يكون شراً على الحياة من السم الزعاف . كما أن من شر المصائب التي عم ضررها عل الاجتماع انتشار الفلسفة العقيمة التي تؤدي الى تنفير الناس من الحياة وتحويل انظارهم عن جلالها وحسنها وتصويرها في أشنع الصور وافظع الاشكال . واذا كان المرء لايأكل شيئاً وثق من ضرره وعدم صلاحيته للأكل أفليس الأخلق به أن يطرد عنه كل الأفكار السخيفة التي تؤذيه في الحياة أثمن هبات الله ومنحه للانسان ؟

لا يوجد من أولئك الفلاسفة المتشدقين بأقوالهم من أقام دليلا منطقياً يحط من قدر الحياة وينفي سرها الالهي العجيب لانه يجب على من يريد الدليل أن يفحص الحياة اولا و يعرف ينبوعها وأسرارها حتى يستطيع الحكم والتعليل وذلك ليس في استطاعة الانسان ولا في قدرته ومع وضوح هذه الحقيقة فكم نرى أولئك المشاغبين يتحمسون في صيحاتهم ونشر أراءهم كأنماهم الذين خلقوا العالم وأحاطوا علما بما فيه من

أسرار غامضة وعجائب مدهشة. وهذا نهاية في الحمق وغاية في الجنون

ولو سألت أحد أولئك الدعاة عما اكتشفوه من العلاج وهل في الاستطاعة ملاشاة الحياة في ذاتها لكان الجواب سلباً. أوليس الاجدر إذن بالناس أن يحترموا سر الوجود ويتركوا غيرهم يتمتع بالحياة بدلاً من أن ينغصوا على أنفسهم وعلى الناس العيش ويقلقوا الراحة ؟

على أننا لانستطيع أن نصل إلى جلية الحقائق إلا من كتب الله المنزلة كما جاء بالكتاب المقدس القائل فتشوا الكتب تجدوا راحة لنفوسكم

أفهل يؤخذ من ذلك أيها الشارد عن معرفة مولاه ومن لاراع له يرعاه أن نفتش على مؤلفات أبيقور زعيم الكفر أو نفتخر بمؤلفات تنشيه الألماني أو نتعظ بمؤلفات دارون وغيره ونترك كتب الله المنزلة وما جاء عن الانبياء العظام والرسل الكرام من الآيات البينات

فعلى ما نراه من كتب الله الشريفة وما جاء عنها من الايات الصريحة والمعاني الفصيحة ينبغي عدم الوثوق بأقوال المضلين المنكرين لحقيقة وجود رب العالمين ولا بما اتوه من التعليلات أو التعليمات التي تحجب عن بصيرتنا نور الحقيقة وسر الحياة ولا الى ما دونوه بكتبهم المحشوة بألاوهام وأضغاث الاحلام فضلا عما لهم من الاقتراحات الفكرية والتصورات الوهمية التي يستخدمهم بها ابليس اللعين لاتمام مقاصده الشيطانية

فتلك الفئة الطاغية هي التي ما زال عدواها بمكروب الكفر

منتشراً في عقول المتطوعين الى المعاصي الغير محتسبين لذواتهم في هذا الوجود الا لما سولت اليه نفوسهم الذميمة من مطامع هذه الدنيا الفانية بكل عمل مكروه مغضب لله والناس غير مكترثين بمعاني وأقوال كتب الله الشريفة ولا الى ما انذرهم به الله على لسان انبيائه الكرام ورسله العظام كما لا يخشون العقاب ولا الحساب لظنهم ان هذا الكون ما وجد الا لترضية نفوسهم واغتنام المفاسد واللذات مهما تنوعت اسبابها ولذلك طمحت نفوسهم وجمحت في ميدان الفسق والضلال حتى تغلبت الرزيلة على الفضيلة كما تغلبت الوساوس الشيطانية لتحريضهم على ارتكاب المعاصي غير مراعين خوف رب البرية ولا للقوانين المرعية والسنن الشرعية وغير ذلك مما يؤدي بهم الى الدمار ببذل ما لديهم من الدرهم والدينار حتى ينقلبوا خاسرين الى جهنم وبئس القرار

وليس من الغريب ان تلك الخصال الذميمة وان خصت ببعض المتدينين او غير المتدينين الا انه لم يخرج من دائرتهم ايضا بعض النساء اللواتي يتخذن الرياء درعا والتملق حصناً والجمال شركا والمسرفين بهتك حرمة الآدات غير محافظين على الطهر والعفاف وبيع اعراضهن وشرف ازواجهن بسوق الضلالة بأبخس الاثمان كان لا دين لهم ولا ناموس ولا شرف وليس من هم لهم سوى التبهرج والتفرنج وتجعيد الشعر وصقل الخدود وكشف النهود وهز الروادف والقدود والغمز والقمز والتملق والخداع وغير ذلك مما اتخذوه ذريعة لانفسهم بالتسلسل على ما يظهر من تحريض أبليس لهم من مبدأ الخليقة الى يومنا هذا

وأما المرأة التي تصبو اليها النفس والرجل الذي تتهافت القلوب الى محبته هو من حاد عن عوامل الشهوات والميل الي الانغماس في حمأة اللذات ومال متطوعا الي تقديم الفضيلة علي الرزيلة قابضا على زمام العرض والشرف والعفاف مؤمنا بالله وما انزل بكتبه الشريفة وكفى بذلك ايضا ان ينال الحظوى وحسن القبول في الدارين معاً.

فلماذا لا نتقوى اذن بدرع الايمان لينصرنا الله على ذلك الشيطان أو لما لا نطلب العفو والغفران من الاله العادل الشفوق بالانسان . اليس إلاهنا رؤوف حليم وغفور كريم يصفح لنا عن الذلات ويمحو ما علينا من السيئات . نعم . نعم. فلننظر الى شريف آيات الكتب المقدسه كيف تدلنا على رأفة الله بعبيده وقبوله اياهم ومحبته لهم كمحبة الاب الى بنيه وفرحه بهم حين توبتهم

اتعظ اذن ايها الانسان ولا تنس فضائل الرحمن فان كان ربك كثير الجود والاحسان أهل يجازي على النعماء بالكفران والا شط بك الغرور . أن لا تحود عن المعاصي والشرور وتتبع هوى النفس فى ملذات اليوم ومعاصي امس وتجعل هذا من دواعي الافتخار بما لديك من الدرهم والدينار فيا عابد المال . حول بصرك عن شعاعه الوهاج فانه يبهره فيزيغه عن الحقائق . وتأمل فى كيف جمع ما استغواك وأبعدك عن جادة الصواب تجد ان معظم ما وصل الى يدك لم يكن ليصل اليها لولا سذاجة الاخرين واخلاصهم . فجلال العالم ليس بأمثالك بل بأولئك الذين لا تحفل بهم ولا تلوح قيمتهم

الحقيقية واضحة للعيان . وان الخدمات التي يؤدونها للاجتماع ليعجز عنها من تجردت نفوسهم من مشاعر الانسانية حتى انهم ليجودون احيانا بأموالهم وراحتهم وحياتهم لنفع الهيئة الاجتماعية بينما انت تحاسبهم عل ما تربح وتحصي عليهم ما يعملون وما يأخذون . ولولا ان مصلحة الهيئة الاجتماعية قائمة بوجود هذا النوع من الناس وتعدد هذا الخطأ المفيد رحمة بالخلائق لاقحلت القلوب من الرأفة والانسانية مما يعزي البائس ويلطف آلام المنكوب .

ان الذباب ليتهافت على الجيف المنتنة وكذلك الناس يترامون على المال حتى اذا صدر الأمر . ياغبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون ، ينفض المترامون ويتقاسم المتحببون وتحشر أنت في ذلك المكان الدون .

فحاذر إذن ان تطلب نفسك وأنت لاه في بحبوحة الانس والطرب وتندم من حيث لا ينفعك الندم بعد وقوعك في مهاوي الذل والعطب فقد تعود للعين بصرها وللرأس فكره ولكن يوم لاينفع البصر والفكر يوم تستعصي الشقاء ويستحيل الخلاص من براثن الشيطان الفتاك

ان البدع لاشد فتكاً بالشعوب من الاوباء بالعباد وأن الشكوى من الأدواء المنتشرة ومن تأثير العلوم الحديثة فى الفضائل والأخلاق لأعم من الشكوى من الفقر ونكد العيش فليتق الله المبتدعون وليحرص على كرامتهم العائلون

وليس الغرض حمل الناس على ترك الابحاث الفلسفية والاستقرآات

الدقيقة والكتب الدينية لمعرفة الحقائق الأدبية واستجلاء غوامض المسائل الاخلاقية والايمان بخالق البرية فكل سعي في هذا السبيل ممدوح ومحمود . ولكن المراد عدم توقف الباحث عن اداء الواجب الانساني قبل ان ينتهي من ابحاثه . والعاقل من يتذكر دائماً كونه خلق قبل أن توضع هذه النظريات وقبل أن تخلق هذه المشكلات وقد خلق الواجب مع الانسان فهو سابق لها . فالرجل الحقيقي بهذا اللقب من يؤمن بخالقه ويؤدي واجبات الرجولة

فان كنت ياهذا لم تهتد إلى طريق الخلاص أو أعماك الشيطان ليؤدي بك الى طريق القصاص فاعلم أن في كل ماتقدم من المباحث القدر الكافي لادراك معنى نفسك حتى تؤمن بربك . وفيه ما يثبت ابتعاد العالم عن الطريق السوي والوجهة الواجب الاتجاه اليها . وفيه مايدل على الغرور العام والانصراف عما في الكون من سائر القوى الحيوية ومعرفة الله وجمال الحياة . فها أنا بذلت لك ما بوسعي من النصيحة كي تؤمن بالله وما أنزل بكتبه الصحيحة لتستطيع التخلص مما ورطه فيك الشيطان والاندفاع مع تيار العصر ومقتضيات العلم الكاذب حتى يتأتى لك أن تتمتع بالسعادة الحقيقية في الدارين . وأني أعتبر هذا هو منتهى النصح والاخلاص وأحسن الختام ؟

﴿ انتهى ﴾

فهرست

صحيفة	
	كلمة الاهداء
٧	المقدمه
١٢	تمهيد الكتاب
١٦	آراء المضلين
٢١	وجود الله
٣٤	صحة الكتب المقدسة
٣٨	حقيقة الانسان
٤١	الانسان وطواريء الزمان
٤٣	تكوين بنية الانسان
٤٦	تركيب جسد الانسان
٤٩	الروح
٥٤	وجود الروح في الجسد
٦٣	وجود النفس

صحيفة	
٧٣	الطواريء الروحانية
٧٩	الملائكه
٨٠	الملائكة الاطهار
٨٣	الملائكة الاشرار
٨٩	أمثلة عن الطواريء الروحانية
٩٦	النوم واليقظة
١٠٢	خلاصة الافكار
١٠٩	النزع والاحتضار
١١١	لذة النزع عند الموت
١١٥	خلود النفس البشرية
١٢٥	القضاء والقدر
١٣٥	خاتمة الكتاب